الدُّوَل العربيَّة وآدابها

كتاب مدرسي حديث يتناول تاريخ الدول العربية وما نشأ فيها من الآداب وفيهِ تراجم اشهر الشعراء والكتبة وأمثلة من اجود ما رُوي لهم

لمؤلفهِ

انيس الخوري المقدسي م . ع

وهو يطلب من الكلية او من المطبعتين

الادبية والاميركية في بيروت

المطبعة الادبية   بيروت سنة ١٩١٥

كلمة

الى مديري المدارس وأساتذتها المحترمين

ايها السادة

من مطالعتكم هذا الكتاب ووقوفكم عَلَى نسقهِ الجديد ترون الغاية التي يرمي اليها

وانما دعاني الى وضعه ما نشعر به جميعاً من حاجة المدارس الكلّية والعالية الى مختصر مفيد في تاريخ العرب وآدابهم وانتم تعلمون اهمية هذا الفرع من العلوم العربية وأنهُ من العبث ان يُربَّى في الناشئة الجديدة روح المحبة للغتهم وآدابهم فضلاً عن قوميتهم ما لم يتشرَّبوا اولاً روح رجالها ويقفوا عَلَى جلائل اعمالهم. تلك حقيقة عرفها الافرنج قبلنا فغدت كتبهم المدرسية ملأى من كل ما يستفزّ في نفوس الطلبة محبّة عظمائهم والميل الى لغتهم. وكأيٍّ من تلميذ خرج من مدارسنا وهو لا يعرف شيئاً من تاريخ لغتنا المجيد وسِيَر ابطالها الاَّ نتفاً لا تؤثر في نفسهِ ولا تحرك همته

وانا لا ادّعي السبق في هذا المضمار فقد تقدَّمني فيه نخبة من امراء الكتابة وارباب التاريخ عَلَى اني لم أرَ طريقتهم تفي بحاجة المدارس لانهم انما توخَّوا البحث التاريخي او الفلسفي لتكون كتبهم مرجعاً يرجع اليها الادباء عند الحاجة . وقد حاولت في هذا الكتاب الذي وضع خاصةً لمنتهي المدارس الاستعدادية العالية ان اجمع بين سير التاريخ العربي العام وما ظهر فيه من ثمار العقول الكبيرة والقرائح المتوقدة فيقف الطالب عَلَى اخبار الامة العربية العظيمة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ العالم وعَلَى اشهر مَن نبغ فيها من الابطال وافضل ما تركوه لنا من الاقوال . فعسى ان الاقي من المؤازرة والتنشيط ما لا ابتغي سواهُ في هذه الخدمة الشريفة

ا٠ خ٠ م

العرب والعربية

تمهيد للطالب

العرب من الامم السامية · فهم اخوان البابليين والاشوريين والعبران والفينيقيين والاحباش · تفرّعوا من الاصل السامي قبل التاريخ بازمان متطاولة وتضاربت الآراء في منشأهم الاول فذهب بعضهم الى انهم نشأوا في افريقيا ثم رحلوا منها الى غربي آسيا وقال غيرهم بل وطنهم الاوّل ارمينيا وما بين النهرين والسواد الاكبر علَى انهم قاموا في جزيرة العرب ومنها امتدّوا الى سائر البلدان اما لغتهم فمن احدث اللغات الساميّة آداباً كما يتبين لك من الجدول الآتي (١)

البابليّة والأشورية	من ٣٠٠٠ سنة ق·م	الى ٥٠٠ ق·م	
العبرانية	١٥٠٠	»	»
الحِميَرية	٨٠٠	»	»
الارامية	٨٠٠	»	»
الفينيقية	٧٠٠	»	»

(١) Lit. Hist. of the Arabs - Nicholson

الحبشية	من ٣٥٠	ب.م
العربية	« ٥٠٠	«

ومع حداثة الآداب العربية فان العربية اقرب الى الاصل السامي من سواها كما ان العرب اقرب الى الدم الاصلي من سواهم وذلك لما في موقعهم الجغرافي وطبيعة احوالهم مما يدعو الى البساطة في العيشة والاحتفاظ بالقديم . فلما حدث الفتح الاسلامي وخرج العرب من مساكنهم في شبه جزيرتهم الى ما فتحوه من الممالك اتّسع نطاق لغتهم اتّساعاً عظيماً واصبحت بعد زمن يسير لغة العلم والتجارة في العالم المتمدّن

وكما ان العربية مديونة للاسلام بانتشارها كذلك هي مديونة له بحياتها . يدلّك عَلَى ذلك ان العرب مع ضياع ملكهم في القرون الوسطى وذهاب عزّهم الى الدول الاعجمية بقوا محافظين عَلَى لغتهم . مكّنهم من ذلك تمسّكهم الشديد بالقرآن وحسبانهم لغته لغة مقدّسة ، بها يجب ان يتمسكوا وعَلَى تقاليدها يجب ان يحافظوا

ولقد انقرض اكثر الامم الساميّة ولم يتركوا لنا من آدابهم آثاراً تذكر اما العرب فلا يزالون لغتهم حيّةً واسعة وآثارهم كثيرة وهم قسمان كبيران عدنان وقحطان . فالقحطانية وهم سكان

الجنوب كانوا اصحاب ملك ضخم وعمران كبير ولا تزال آثارهم الى اليوم شاهدة بما وصلوا اليهِ من الارتقاء والسيادة · بقيت دولتهم الى اواخر القرن السادس للميلاد ثم غُلبوا على امرهم فانقرضت لغتهم وهي الحِميرية وصارت السيادة الى ابناء عمهم العدنانية سكان الشمال وهؤلاء كانوا ولا يزالون قبائل قبائل منهم الحضَر سكان المدن ومنهم البادية الرُحّل الذين يسكنون الخيام ويظعنون في طلب الماء والكلاء ولغتهم لغة الشعر الجاهلي · ولا ريب انهُ كان للغتهم قبل الاسلام آداب راقية يدلّنا عَلَى ذلك اشعار الجاهلية وما هي عليهِ من حسن المبنى عَلَى انهُ ليس لهم آثار مخطوطة فلم يصل الينا من آدابهم الاّ ما نقلهُ الرواة والحفَظة في صدر الاسلام وكثيرٌ من هذا دخيل لا يعوّل عليه · ولم تكن قبائل العرب تتبع في نطق العربية مذهباً واحداً عَلَى انَّ لسان قُريش غلب جميع الالسنة العربية لا سيما وانَّ بهِ كُتب القرآن واهله اصحاب التجارة وحراس الكعبة فصار له ميزة خاصة لا ينازعه فيها منازع

ولزيادة الايضاح نقسم تاريخ العرب الى ثلاثة اقسام

الاول — **العرب قبل التاريخ** · ويدخل فيه قبائل العرب البائدة وما ذكروه من اخبارهم

الثاني — **العرب من فجر التاريخ الى الاسلام** · ويدخل

فيهِ دول سَبَإٍ وحِمْيَر والانباط وتدمر والغساسنة والمناذرة وغيرهم من عرب الجاهلية · وما كان لهم من الآداب والعلوم وهو يمتدّ من ٨٠٠ ق·م الى ٦٢٢ ب·م

الثالث — **العرب بعد الاسلام** وهو سبعة اعصر

١ عصر صاحب الشريعة الاسلامية والخلفاء الراشدين واخبارهم

٢ العصر الاموي في الشام

٣ العصر الاموي في الاندلس

٤ العصر العباسي وهو مدّتان : الاولى مدة الزهو والتقدم وتمتد نحواً من مئتي سنة والثانية مدة التأخر والانحطاط وتنتهي بفتح التتر لبغداد في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد

٥ العصر الفاطمي في مصر

٦ احوال العرب والعربية من سقوط بغداد الى القرن التاسع عشر

٧ النهضة الحديثة



شبه جزيرة العرب

جغرافية بلاد العرب

بلاد العرب شبه جزيرة عظيمة الاتساع واقعة في الطرف الغربي من اسيا. يحدها شمالاً سوريا والجزيرة وشرقاً العراق وخليج العجم وخليج عُمان وجنوباً الاوقيانوس الهندي وغرباً بوغاز باب المندب والبحر الاحمر وترعة السويس

وتقسم الى خمسة اقسام رئيسيةَ

١ اليمن — وهي في الجنوب الغربي كما ترى علَى الخارطة وبعضهم يُدخل فيها حضرموت وشِحْر ومَهرة وعمان ونجران فيحيط بها البحر من ثلاث جهات ويليها من الرابعة وهي الشمالية جبال الحجاز وتهامة واليمامة وأرض البحرين (وهي البلاد الواقعة علَى خليج العجم شرق نجد واليمامة). واشهر مدنها صنعاء وعدن ونجران ومأرِب وظفار ومخا ومسقط

٢ تهامة — هي سهل ضيّق واقع علَى البحر الاحمر الى الشمال من اليمن فيفصل جبال الحجاز عن البحر ويسمى الغور لانخفاضه وهي لدى التحقيق جزء من الحجاز

٣ الحجاز — بلاد جبلية الى الشمال من اليمن تتصل

شمالاً بالعقبة وتحجز تهامة عن نجد واشهر مدنه مكة والمدينة وجدّة (ثغر مكة)ومن اقاليم الحجاز الطائف وهو اقليم خصب كثير الفواكه والبساتين

٤ نجد — وهي مرتفعات واقعة شرق الحجاز بين اليمامة والعراق جنوباً وشرقاً وبادية الشام شمالاً وهي كثيرة الخصب فيها تربَى الخيول العربية المشهورة ومن مدنها رياض وحائل

٥ اليمامة — وهي الارض الواقعة بين نجد واليمن شمالاً وجنوباً وبين ارض البحرين والحجاز شرقاً وغرباً وتسمَّى العروض لاعتراضها بين تلك الاقطار

ويقدّرون مساحة شبه جزيرة العرب بنحو ثلاثة ملايين كيلو متر مربع وعدد سكانها بنحو عشرة ملايين · عَلَى ان قسماً كبيراً منها بوادي جرداء خالية من اسباب الحياة والعمارة · وجبالها سلسلة تسمى جبال السراة تمتد من العقبة عَلَى مقربة من البحر الاحمر الى اليمن ثم تنعطف الى عمان وارض البحرين · وينحدر من جبالها جداول كثيرة ولكن قليل منها يصل الى البحر · اما هواء البلاد فمعتدل في الجبال ولكنهُ حارٌّ في السهول وينبت في اوديتها كثير من انواع الفواكه والرياحين والحبوب عَلَى ان اخصبها اليمن وقد دعاها الرومان العربية

السعيدة تمييزاً لها عن الاقسام الشمالية و يصفها المؤرخون القدماء بانها اخصب بلدان الدنيا (١)

وحيواناتها الخيل والجمال وهم يعتمدونها في قضاء حاجاتهم ومنها الحمير و بقر الوحش والغزلان والأُسود والنمور وغيرها

العرب قبل التاريخ

القبائل البائدة

لا يرى الباحث في احوال الامم قبل فجر التاريخ الحقيقي الاَّ ظلمات بعضها فوق بعض . فما اخبار اليونان والفرس مثلاً قبل تاريخهم الحقيقي الاَّ اساطير لا اساس علمي لها وكذلك العرب وراء القرن الثامن قبل الميلاد فان اخبارهم لا تروي غليل المؤرخ الحقيقي . من ذلك ما رووه عن قبائلهم البائدة واشهرها :

عاد الاولى — وهي علَى ما يروون من الامم الإرَمية كانوا يسكنون حضرموت وقد قام منهم نبي اسمه هود فلما رأى فسادهم نهاهم وانذرهم بسوء مصيرهم فلم يكترثوا لهُ ولم يسمعوا

(١) سكوت « تاريخ العرب في اوروبا »

لكلامه فاهلكهم الله الاَّ من آمن بهودٍ . ومن هؤلاء نشأت عاد الثانية التي يزعمون ان لقمان الملقب بذي النسور احد ملوكها وباني سدّ مأرِب المشهور

ثمود — وكانوا يقيمون شمالي العربية بين الحجاز والشام وآثارهم عَلَى ما يقولون بادية في مدائن صالح بطريق الحج الشامي . وكانوا بأرغد عيشٍ حتى كفروا وبطروا فارسل الله اليهم نبياً اسمهُ صالح يدعوهم الى سواء السبيل فلم يؤْمن بهِ الاَّ قليل مستضعفون فكان مصيرهم مصير عادٍ ابادهم الله عبرة لغيرهم . ومما يحسن ذكره ان عاداً لم يذكرها من المؤرخين غير العرب اما ثمود فقد ذكرها غيرهم ويقال انهم بقوا الى الجيل الخامس بعد الميلاد

طسم وجديس — وهما قبيلتان من إرم زعموا ان مساكنهما كانت اليمامة والسيادة فيهما لطسم . ظلُّوا عَلَى ذلك برهة من الزمان حتى انتهى الملك الى رجل غشوم سام جديس الذلّ والهوان فقامت جديس عليهِ وعَلَى قومهِ وافنوهم عن آخرهم لم يفلت منهم الاَّ رجل اسمه رياح بن مرّة فأتى حسَّان بن تبع ملك اليمن اذ ذاك وشكا اليه ما فعلتهُ جديس بملكهم فاجابهُ حسَّان ونهض بن معهُ للأخذ بثار طسم

وكان في جديس امرأة تدعى زرقاء اليمامة تبصر الى مسافة شاسعة فلما حمل ابن تبع عليهم ابصرت جيشه وهم عَلَى بعد ثلاث مراحل وقد حملوا الاشجار الصغيرة ليخدعوها فانذرت اهلها فكذّبوها وغفلوا عن اخذ الأُهبة ففاجأَهم الاعداء وأَبادوهم · وقد ذكروا من القبائل البائدة أُميم وعَبيل وجُرهُم والعمالقة وهم قبائل متعددة منهم عَلَى ما يقولون عمالقة التوراة

اسئلة

(١) دل عَلَى حضرموت · ومدائن صالح واليمامة · واليمن

(٢) ما تعني بعرب الشمال وعرب الجنوب وعن اي الفرعين أُخذت اللغة العربية الحديثة

(٣) ما الاسباب التي جعلت قريشاً اشرف القبائل وافصحها

(٤) ما العرب البائدة وما سبب هلاكهم عَلَى ما يزعمون

(٥) ماذا يعني الشاعر بقوله

انا في امةٍ تدار كها الله(م) غريب كصالحٍ في ثمودِ

(٦) من هي زرقاء اليمامة وما تعرف من اخبارها

(٧) اكتب بضعة اسطر تصف بها العرب البائدة

(٨) اذكر بعضاً من قبائل العرب المشهورة

سبأ وحِميَر

من ٨٥٠ ق ٠ م — ٥٢٥ ب ٠ م

وهما من دوَل اليمن

ولئن بالغ المؤرخون في وصف مملكة سبا وأفرطوا في ذكر غناها فلا شكّ انها كانت من انخم الممالك التي زهت قبل الميلاد٠ ولا غرابة فان طريق البحر بين الهند وبلاد العرب لم تكن صالحة فكانوا يحملون التجارة الهندية برّاً عن طريق عمان الى الخليج العربي ومنهُ كانت ترسل الى مصر٠ ولعسر الملاحة في البحر الاحمر كانوا يؤثرون الطريق البرّية الى الشام فكانت القوافل تأتي من حضرموت الى مأرِب عاصمة سبا ومنها شمالاً الى مكة فبطرة عاصمة الانباط فغزّة عَلى البحر ومنها الى سائر الانحاء٠ « فكانت ارض سبا لذلك العهد من ارفه البلاد واخصبها وكانت مدافع للسيول المنحدرة بين جبلين هناك فضُرب بينهما سدّ بالصخر والقار يحبس سيول العيون والامطار حتي يصرفوه من خروق في ذلك السدّ عَلى مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم »(١) وما زالوا كذلك حتى تحوّل عنهم طريق التجارة

(١) ابن خلدون

الى البحر فاخذوا في الضعف وانتقلت السيادة الى حِمير. ويعرف هذا السدّ بسدّ مأرِب وهو اذا صدّقنا الذين وصفوه لا يقل عن خزان اصوان ضخامة ان لم يفقهُ . ولقد انفجر انفجاراً عظيماً بجرى السيل العَرِم وغمر الارضين التي حوله . فتفرّق اهل سبأ وسارت كل طائفة منهم الى جهة ومن ذلك المثل المشهور «تفرّق القوم ايدي سبا» اي تشتتوا . قال الاعشى(١) —

وفي ذاك للمؤتسي اسوةٌ ومأرِبُ عفّى عليها العَرِمْ(٢)
رخامٌ بنتهُ لهم حِميَرٌ اذا جاء موّارهُ لم يَرِمْ(٣)
فاروى الزروع واعنابها عَلَى سعةٍ ماؤُهم اذ قُسِمْ
فصاروا ايادِيَ ما يقدرون م منهُ عَلَى شرب طفل فطِمْ

ولانفجار هذا السدّ حكاية ننقلها من قبيل التفكهة لا من قبيل الحقائق التاريخية :

قيل تبوّأ عرش مأرِب في اواخر القرن الثالث ب . م ملك يقال له عمرو بن عامر فرأى مرّة جرذاً يحفر السدّ فعلم انهُ

(١) شعراء النصرانية لليسوعيين (٢) عفّى عليها اي اهلكها

(٣) الموّار . الماء الجاري بسرعة . يَرِم مضارع رام بمعنى مال او زال ويراد به ان السدّ كان أوّلاً ثابتاً امام الموّار الشديد

لا بقاء لهُ عَلَى هذه الحال. واراد التزوح لكنهُ عزم عَلَى انْ يكيد قومهُ و يبيعهم املاكهُ فجاء الى اصغر ولده وقال له اني سأُغلظ لك في الكلام عَلَى مسمع من قومي فاذا فعلت ذلك فالطمني عَلَى مرأى منهم ففعل فقال عمرو لا أُقيم في بلد يلطمني فيها اصغر اولادي. فقال اشراف اليمن اُغتنموا غضب عمرو واشتروا امواله. ولما انتهى من بيع ما لهُ انتقل باولاده واولاد اولاده نحو الشمال فتبعه بعض قومه ومن هؤُلاء نشأت دولة غسَّان في الشام ودولة لخم في الحيرة . ونزل بعضهم بيثرب مدينة الرسول . هذه هي القصة والحقيقة ان السدّ لم يخرب تماماً الاّ في منتصف القرن السادس للميلاد ولعلّ حادثة عمرو بن عامر تشير الى انفجار قديم حدث في السد. ومن ملوك سبا المشهورين الملكة التي ذكرت التوراة انها جاءت الى الملك سليمان وسمعت حكمتهُ

حِمير

ولما تفرّق اهل سبا تحول ملكهم الى حِميْر وهم اقرب من سبا الى البحر « وتختلف دولة حمير عن سبا انها اقرب منها الى الدول الفاتحة فلقد نبغ من ملوكها قوّاد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس والاحباش وتنتهي دولتهم بذي نواس سنة ٥٢٥ ب . م » وملوكهم تعرف بالتبابعة من اشهرهم التبَّع اسعد كامل

ابو كرِب . زعموا انه غزا العجم وهزم جيوشهم وفتح البلاد الى بحر قزبين ثم رجع الى اليمن وقد هابته الملوك . ويقال انه غزا المدينة وكسا الكعبة وقبل وفاته نظم قصيدة اودعها حكماً ووصايا لابنهِ حسّان . وحسان هذا هو الذي استباح طسماً وجديساً كما مرَّ معنا والظاهر ان سياسته لم ترق لرؤساء حِمير فاغروا اخاه عَلَى قتله ونصّبوه مكانه ثم استبدّ الامراء بالحكّام وعمّت الفوضى فغزاهم الاحباش . وكان في جيش الاحباش رجل ذو بأس ومراس يقال له ابرهة الاشرم فقتل قائد الاحباش واسمه ارياط واستبدّ هو بالاحكام ثم حمل عَلَى مكة فلم يُفلح وتعرف سنة حمله عليها بعام الفيل وهي السنة ٥٧٠ ب . م . عَلَى ان ابنيه اعادا الكرّة عَلَى العرب فابليا بهم بلاءً حسناً واستفزّت الحمية احد اشراف اليمن المعروف بسيف بن ذي يزن فنهض لمقاتلة الاحباش وكان قد استنجد كسرى ملك الفرس واستشفع اليهِ بملك الحيرة فأمدّهُ بالرجال والمال حتى قهر الاحباش وجعل اليمن تابعة للفرس . ثم دخلت اليمن في حوزة الاسلام ولا تزال كذلك الى الآن

ولحِمير لغة تختلف عن لغة سائر العرب ويعرف خطّهم بالمُسنَد اما لسانهم فقريب من السريانية والعبرانية ويشبه الحبشية

في كثير من الاصول . وقد وجد العلماء الذين درسوا آثار العرب واخرجوا مخبآتها كثيراً من آثار الخط الحِميَري ترجع الى القرن الخامس والسادس قبل الميلاد

والخلاصة ان مملكة سبإ كانت اولاً مركز التجارة فكثر غناها واصبحت مضرب الامثال في العظمة والقوة . ثم سقطت وقام مقامها دولة حِمير ففتحت الفتوح وبدورها سقطت ايضاً وبسقوطها انتهى امر دول الجنوب القحطانية واصبحت جزيرة العرب كلها تابعة لدول الشمال العدنانية . علىَ انَّ العصبيةَ اليمنية لم تمت في نفوس القبائل التي ترجع بنسبها الى عرب الجنوب وقد لعبت هذه العصبية دوراً مهماً في تاريخ العرب كما سيجيء .

ومن مدن اليمن الشهيرة مدينة صنعاء . وهي مدينة طيّبة الهواء كثيرة الماء قال بعض الشعراء فيها [١]

سقياً لصنعاء لا ارى بلداً أوطنه الموطنون يشبهها
خفضاً ولينا ولا كبهجتها ارغد ارض عيشاً وأرفهها
يعرفُ صنعاء من اقام بها اغذى بلادٍ غذاً وأنزهها

ويؤخذ من وصف الواصفين لها انها تشبه دمشق بكثرة

---

(١) معجم البلدان

فواكهها وتدفق مياهها . وكان فيها قصر غمدان المشهور وهي تبعد عن عدن نحو ثمانية وستين ميلاً

اسئلة

(١) دل على مأرب وصنعاء . وعلى الخط التجاري البري الذي كان يصل الهند بالشام

(٢) ماذا تعرف عن سد مأرب والسيل العرم وما المثل المشهور في ذلك

(٣) بماذا اشتهر عام الفيل

(٥) من هم التبابعة واذكر اشهرهم

(٦) ما الخط المُسند والى اي قرن يرجع تاريخه

(٧) اذكر الاسباب التي جعلت اليمن قديماً زاهية زاهرة . كيف ذهب مجدها . وماذا تعني بالعصبية اليمنية

(٨) اين كان يقيم ملوك سبأ وملوك حِمير

(٩) ماذا تعرف عن احوال اليمن اليوم ومن هم زعماؤها

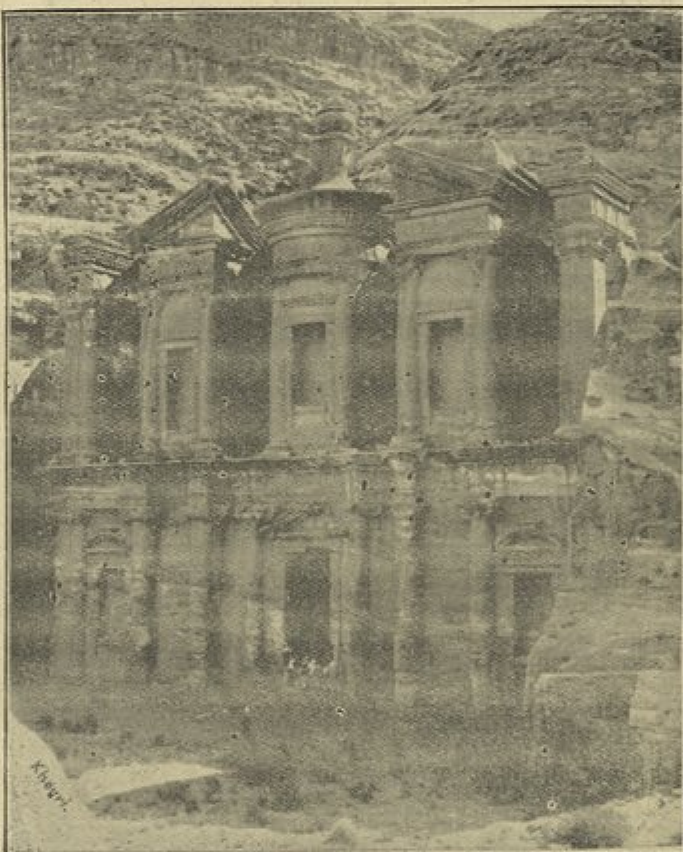
دولة الانباط

في بطرا

من القرن الثالث ق·م — القرن الثاني ب·م

اختلف الكتبة في اصل هذه الدولة القديمة فذهب قوم الى انها ارامية والمحقق انها دولة عربية[١] زهت في القرن الثالث قبل الميلاد وبقيت الى القرن الثاني بعده· وكان الانباط يسكنون البلاد الواقعة بين سوريا وجزيرة العرب وذكر ديودوروس انهم كانوا شعباً قوياً وكانوا اهل زراعة وتجارة واسعة· وقد تمكنوا من الاستيلاء عَلَى خليج العقبة في البحر الاحمر فوسعوا بذلك تجارتهم وامتدَّ سلطانهم شمالاً الى قلب سوريا فاستولوا عَلَى حوران ووادي الاردن وعقدوا حالفة تجارية مع رومية فاصبحوا اصحاب وجاهة وثروة واسعة لا سيما وان بلادهم كانت ملتقى طرق التجارة· فكانت تجارة غزة والبصرة ودمشق والبحر الاحمر وخليج فارس تمرّ في عاصمتهم بطرا فزهت هذه المدينة وعظمت سطوتها وظلّت عَلَى حالها من العظمة الى ما بعد سقوط الأُمة النبطيّة واستيلاء الرومان عليها

(١) دائرة المعارف البريطانية



آثار هيكل منحوت في الصخر

(بطرا)

وبطرا الآن مقصد السياح وعلماء الآثار. يقصدونها للتفرج عَلَى ما فيها من الآثار العظيمة وهي في حوض بين الجبال في الوادي العظيم الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة

قلنا ان الانباط كانوا حلفاء الرومان ولكن هؤلاء لم يثبتوا عَلَى ولائهم فلما جاء القرن الثاني للميلاد غزاهم تراجان واستولى عَلَى ديارهم فضمها الى المملكة الرومانية وبذلك انفرط عقد الدولة النبطية وضاعت جنسيتهم فذلوا واختلطوا بالاراميين حتى كادوا يفقدون لغتهم. وكانت تدمر في اثناء ذلك قد بدأت بالتقدم لتحوّل طرق التجارة اليها فاخذت بطرا تتأخر رويداً رويداً وبقيت كذلك حتى انقطعت عنها التجارة فبادت

اما لغة النبط فلم تكن عربية صرفة «لانهم عَلَى اطراف البادية مما يلي الحجاز وكانت مملكتهم تترامى الى نواحي دمشق فكانوا يكتبون الارامية لان العربية لم تكن وُضعت يومئذ. عَلَى ان ما اكتشفوهُ من آثارهم الكتابية لا يخلو من الفاظ شبيهة بعربية العدنانيين وقد استدلوا بهذا عَلَى ان لسانهم كان عربياً بوجه ما حتى اثرت عربيته عَلَى لغة الكتابة التي اضطروا اليها بحكم الحضارة»[1]. ولم تكن ديانتهم في اوّل الامر مختلفة

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي

عن ديانة سائر عرب الشمال فكانوا يعبدون الاوثان ثم جاءتهم المسيحية فاعتنقها السواد الاكبر منهم ولكن امرها لم يطل فيهم بعد الاسلام

اسئلة

(١) دل على بطرا . وعلى حدود المملكة النبطية في ابان مجدها
(٢) من هم الانباط . كيف زهوا . ولماذا بادوا
(٣) صف عاصمتهم ببضعة اسطر
(٤) ماذا تعرف عن لغتهم وديانتهم
(٥) ارسم خارطة سوريا وفلسطين ودل على وادي موسى
(٦) كم تبعد بطرا عن خط الحجاز الحديدي وعن خليج العقبة

مملكة تدمر

تدمر مدينة قديمة كانت تعد من اعظم مدن الشرق واجلها شأناً وهي واقعة بين الفرات والعاصي على مسافة نحو مئة ميل من حمص شرقاً ومئة وخمسين ميلاً من الشام شمالاً في شرق . ويزعمون ان باني هذه المدينة سليمان الحكيم . وقد بلغت أوج مجدها في ايام الرومانيين خصوصاً في ايام الملكة زنوبيا وذلك في اوائل القرن الثالث للميلاد فكانت محطاً للقوافل السائرة بانواع البضائع من الهند وفارس الى فينيقيا وانما زهت يومئذٍ لسقوط دولة الانباط في بطرا وتحوّل تجارة هؤلاء اليها. عاش اهلها مدة مديدة بالترف والنعيم واظهروا من الشجاعة في الحروب الرومانية ما لا مزيد عليهِ غير انها بعد انكسار شوكة زنوبيا اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً الى ان كانت دولة الاسلام ففتحها خالد بن الوليد . ويظهر ان المدينة بقيت الى ان سقطت الدولة الرومانية . ولا يزال فيها من آثار الهياكل والقصور والاروقة والقناطر ما لا يستطيع القلم وصفه (راجع الصورة) وهي من الاماكن التي يقصدها السياح وعلماء الآثار والتاريخ علَى ان الطريق اليها خطرة

لوقوعها في قفر متسع ينتابهُ قطاع الطريق من البدو

زنو بيا — اشتهرت هذه الملكة في التاريخ العربي واصبحت مضرب المثل بالبأس والجمال والاقدام . وكانت تدمر في اوائل القرن الثالث للميلاد ايالة رومانية يحكمها امير عربي اسمهُ أذينة ابن السميدع فمنحتهُ المشيخة الرومانية لقب ملك مكافأةً له على خدماتهِ الجليلة في محاربة الفرس . ولكن بعضهم غدروا بهِ وقتلوه فقامت امرأتهُ زنوبيا بأعباء الملك بعدهُ وقتلت قاتلهُ وكانت كبيرة المطامع فصممت عَلَى جعل تدمر مملكة مستقلة . ثمَّ شهرت الحرب عَلَى الرومان فغلبتهم في مواقع عديدة عَلَى انها غلبت اخيراً فحملها الامبراطور اورليانوس اسيرة الى رومية وذلك في السنة ٢٧٣ ب . م وهناك قضت نحبها . وكانت بديعة الجمال وافرة الذكاء تميل الى الصيد والقنص وسيرتها اقرب الى سيَر الابطال منها الى سير النساء وقد عُرِفت بالعفاف وعلوّ الهمة والدهاء . وهي احدى الشهيرات اللواتي يفاخر التاريخ بذكرهنَّ . وفي ايامها امتدت مملكة تدمر من الفرات الى بحر الروم ومن صحراء العرب الى اسيا الصغرى

وقد اختلف المؤرخون في نسبة زنوبيا وقومها الى العرب ولكن الثابت في رأي الجمهور ان اهل تدمر كانوا عرباً لكنهم



آثار شارع الاعمدة العظيم في تدمر

المؤدي الى « قوس الظفر »

كالانباط كانوا يستعملون الارامية في مكاتباتهم بدليل وجود المخطوطات الارامية في مدينتهم · وكانت هيأتهم الاجتماعية مزيجاً من العرب واليونان والرومان والاراميين

اسئلة

(١) من بنى تدمر وما سبب تقدم هذه المدينة
(٢) دل على مملكة تدمر في إبّان مجدها
(٣) ماذا تعرف من اخبار زنوبيا
(٤) بأية لغة كان اهل تدمر يتخاطبون ويتكاتبون
(٥) ما الاسباب التي قضت على اهل تدمر وابادتهم
(٦) الى ماذا يشير النابغة بقولهِ من قصيدة طويلة

الأَ سليمانَ اذ قال الالهُ له ... قم في البريّة فاحددْها عن الفَنَدِ
وخبّرِ الجنّ اني قد أَذنت لهم ... يبنونَ تدمرَ بالصفّاح والعَمَدِ

دولة اللخميين

في الحيرة

من سنة ٢٦٧ م الى ٦٣٢ م

الحيرة مدينة قديمة في الطرف الغربي من العراق كانت مقرّ ملوك لخم المعروفين بالمناذرة وهم كما مرّ من قبائل اليمن التي نزحت بعد انفجار سدّ مارِب

بُنيت الحيرة في القرن الثاني بعد الميلاد وبلغت شأواً عظيماً من العمران حتى استولى ملوكها عَلَى العراق ومدُّوا سلطانهم الى نجد. وكانت مملكتهم تابعة لملوك فارس يستعين بها الفرس عَلَى الرومان وانصارهم من ملوك الشام وبقيت كذلك الى ان غزاها القائد الاسلامي الكبير خالد بن الوليد فصارت تدفع الجزية للمسلمين. ثمَّ لما بُنيت الكوفة واخذ العرب يؤمونها من كل صوب بدأت الحيرة تسقط رويداً رويداً حتى خربت في صدر الدولة العباسية. وكانت ذات زراعة وصناعة وأهلها تجّار العراق وارباب الثروة فيه. لكنها اليوم طلول بالية وآثار دارسة لا يسمع الانسان فيها غير نئيم البوم وعواء الذئاب ولا يرى من قديم عزّها غير الخراب

اما ملوكها المناذرة فيزيدون على العشرين ملكاً وقد اشتهر منهم « النعمان الاول » باني الخورنق والسدير وهما قصران على نحو ميل الى الشرق من الحيرة يضرب المثل بهما في حسن الصنعة والجلال . قيل بنى الخورنق رجل رومي اسمهُ سنمّار فلما انتهى قال للملك اني اعرف فيه موضع آجرّة (قرميدة) لو نُزعت لسقط القصر كله . فلما سمع النعمان ذلك امر به فقذف من اعلى القصر فمات . وعليه جرى المثل هذا جزاء سنمار يضرب لمن يعمل حسناً فيلاقي شراً . والنعمان الاول من أشد ملوك العرب بأساً وكان حازماً فاجتمع له من الاموال والخول ما لم يملكهُ احد من ملوك الحيرة ويقال انهُ زهد الدنيا اخيراً وساح في الارض فلم يرهُ احد

ومن المناذرة المشهورين « المنذر الثالث » المعروف بابن ماء السماء وكان بطلاً مقداماً ملك زمناً طويلاً ولكن حدث في ايامه ما كدّر ملكه . فانهُ في السنة ٤٨٠ م هاجم الحيرة قبائل كندة فاستولوا عليها وطردوا المنذر منها والظاهر ان ملك الفرس يومئذٍ لم يكن راضياً عن سياسة المنذر لا سيما وانه كان يخالفهُ في مذهبهِ (مذهب مزدك) فلم يمدّ يده لمساعدته . وبقي المنذر مُقصىً عن العرش حتى ملك انوشروان على الفرس فارجع

المنذر الى عرش الحيرة. فكان لهُ المنذر خير معين عَلَى ملك القسطنطينية. ومن غزواته انهُ غزا الشام حتى انطاكية ثم قلب له الدهر ظهر المِجَنّ فقهرتهُ غسان في السنة ٥٥٤ م وقتلوه في يوم حليمة المشهور

خبره مع نديميه — ومن اخباره التي نوردها للتفكهة خبره المشهور مع نديميه. قيل:

كان له نديمان احدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود فأغضباه في بعض المنطق وكان سكران فامر بان يحفر لكل منهما حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى اذا اصبح سأل عنهما فأُخبر بهلاكهما فندم عَلَى ذلك وركب حتى نظر اليهما وأَمر ببناء الغريَّين فبنيا وجعل لنفسه يومين يوم نعيم والآخر يوم بؤس. فاوَّل من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل واول من يطلع عليه يوم بؤسه يأمر به فيذبح ويُغرى بدمه الغريَّان فلبث بذلك برهة من دهره حتى مرَّ رجل من طي اسمهُ حنظلة بن أَبي عفراء كان أَوى المنذر في خبائه يوم خرج الى الصيد وانفرد عنهُ اصحابه بسبب المطر فرحب به حنظلة وهو لا يعرفهُ وذبح له شاةً فاطعمهُ من لحمها وسقاه لبناً. فلما نظر اليه الملك

ساءه ذلك وقال ياحنظلة هلاَّ اتيت في غير هذا اليوم فقال. أَبيت اللعن لم يكن لي علم بما انت فيه فقال له ابشر بقتلك. فقال له والله قد اتيتك زائراً لاهلي من خيرك مائرا فلا تكن ميرتهم قتلي. فقال لا بد من ذلك فاسأل حاجة اقضيها لك فقال تؤَجلني سنة ارجع فيها الى اهلي وأُحكم من امرهم ما اريد ثم اصير اليك فانفذ فيَّ حكمك فقال ومن يكفل بك حتى تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو فقال هذا كفالتي

فوثب شريك وقال. أَبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه وأَمر للطائي بخمسمائة ناقة وقد جعل الاجل عاماً كاملاً من ذلك الى مثله من القابل. فلما حال الحول وقد بقي من الاجل يوم واحد قال المنذر لشريك ما اراك الاَّ هالكاً غداً فداء لحنظلة. فقال شريك :

فان يكُ صدر هذا اليوم ولَّى فان غداً لناظرهِ قريبُ

فذهب قوله مثلاً. ولما اصبح وقف المنذر وكان يشتهي انهُ يقتل شريكاً لينجي الطائي. فلما كادت الشمس تغيب قام شريك مجرداً من ازارهِ علَى النطع والسيَّاف الى جانبهِ وكان المنذر امر بقتله فلم يشعر الاَّ براكب قد ظهر فاذا هو حنظلة قد تكفن

وتحنّط وجاء يناديه . فلما رآه المنذر . قال وما الذي جاء بك وقد أفلتَّ من القتل . قال الوفاء . قال وما دعاك الى الوفاء . قال ان لي ديناً يمنعني من الغدر . قال وما دينك قال النصرانية . قال فاعرضها عليَّ . فعرضها فتنصر وترك تلك السنّة من ذلك اليوم وعفا عن شريك والطائي وقال . ما ادري أيُّكما اكرم وأوفى أهذا الذي نجا من السيف فعاد اليه ام هذا الذي ضمنهُ . وانا لا اكون ألأم الثلاثة (١)

ومن مشاهيرهم « عمرو بن هند » وهو ابن المنذر الثالث وفي ايامه كانت الحيرة موئل الادباء والشعراء فأمّها نخبة من اكابرهم منهم طرَفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة . على انه كان عاتياً نخوراً فقتله عمرو بن كلثوم في خبر سيجيء

ومنهم « النعمان بن المنذر » المعروف بأبي قابوس . وفي ايامهِ بلغت الدولة منتهى الشرف والرخاء وهو الذي مدحهُ النابغة الذُّبياني بقصائده المشهورة والمرجح انه تنصّر وزهد الدنيا ويقال ان النعمان كان وثنياً فاهتدى الى النصرانية بواسطة شاعرهِ عديّ بن زيد . ويروون في ذلك القصة الآتية :

---

(١) وهذه القصة تروى عن النعمان بن المنذر ايضاً وأهل الانتقاد يرتابون في صحتها

قيل خرج النعمان الى الصيد ومعه عديّ بن زيد فمرّ بشجرة فقال لهُ عديّ أتدري ما تقول هذه الشجرة قال لا قال تقول :

ربَّ رَكْبٍ قد اناخوا عندنا　　يشربونَ الخمر بالماء الزلال
عصفَ الدهر بهم فانقرضوا　　وكذاكَ الدهر حالاً بعد حال

قال ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرة فقال لهُ عديّ اتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال تقول :

ايها الركب المخبُّونَ　　علَى الارض المجدُّونا
كما كنتم كذا كنّا　　كما نحن تكونونا

فقال النعمان ان الشجرة والمقبرة لا تتكلمان وقد علمت انك انما اردت عظتي ثم انه ترك عبادة الاوثان وتنصر

وفي آخر ملكهِ غضب كسرى عليه فقتلهُ واقام علَى العرب رجلاً يقال له اياس بن قبيصة فعقب ذلك وقعة عظيمة بين العرب والعجم تعرف بيوم ذي قار انتهت بانتصار العرب انتصاراً عظيماً وقد اكثرت العرب الاشعار في ذكر هذا اليوم . ثم رجع الحكم الى المناذرة وكان آخرهم المنذر الخامس الذي قتل بالبحرَين وبقتلهِ انتهى ملكهم

***

والخلاصة ان دولة الحيرة كانت من الدول الزاهية اما ملوكها فقد كانوا في الغالب عتاة مستبدّين وليس لنا دليل ثابت عَلَى ان بعضهم اعتنق النصرانية وابتنى في الحيرة الكنائس العظيمة عَلَى ان الاستنتاج العقلي قد يميل بنا الى ذلك. اما بلاطهم فكان محجة الشعراء في ذلك الزمان وامثال النابغة وعديّ وعَبيد ابن الابرص وطَرَفة بن العبد والمتلمّس كافية للدلالة عَلَى رغبة هؤلاء الملوك في الشعر وعطفهم عَلَى الادب. وكانت الحيرة في ايامهم مؤلفة من ثلاث طبقات :

الاولى تنوخ — قبائل من البدو كانوا يعيشون في الخيام بين المدينة والفرات

الثانية العِباد — وهم طوائف مسيحية كانوا يعيشون في المدينة ومنهم اكثر اهل العلم والادب وارباب التمدن العربي في الحيرة

الثالثة الاحلاف — وهم من المهاجرين الذين استقرُّوا في الحيرة واختلطوا بأهلها من الطبقتين المار ذكرهما

اسئلة

(١) دل على الحيرة. من اين اتى ملوكها وكم بقيت دولتهم

(٢) صف بعضاً من ملوكها المشهورين

(٣) اذكر قصة حنظلة وشريك

(٤) من هو سنمار وما المثل المشهور عنهُ

(٥) اذكر بعضاً من الشعراء الذين اشتهروا في بلاط الحيرة

(٦) هل تعرف شيئاً من اخبارهم واشعارهم؟

(٧) ماذا يروون عن تنصر النعمان

(٨) ما هو يوم ذي قار ولماذا يُكثر العرب من ذكره في اشعارهم

دولة الغساسنة

في الشام

ذكرنا آنفاً أنهُ لما نزحت قبائل اليمن بعد انفجار سدّ مأرب استقرَّ بعضهم في العراق وانشأُوا دولة الحيرة وجاء بعضهم الى الشام واستقرُّوا فيها فولاَّهم الرومان اعمالها فكانوا عمّالاً لهم كما كان ملوك الحيرة عمالاً للفرس . عَلَى ان الغساسنة لم يستقرُّوا عَلَى ما يظهر في عاصمة واحدة ولكن اكثر اقامتهم كانت في بصرى حوران وآثارها تعرف الآن باسكي شام [1]

وكان العالم قُبيل الاسلام تتنازعهُ دولتان عظيمتان الفرس في الشرق وعاصمتهم المدائن والرومان في الغرب وعاصمتهم القسطنطينية ولاستعانة الفرس بالمناذرة والروم بالغساسنة تولّد بين هاتين الدولتين العربيتين ضغائن توارثها الابناء عن الآباء والغساسنة قبائل مسيحية وهم ينتسبون الى عمرو بن عامر الذي ورد ذكره في خبر سدّ مأرب . اما مؤسس دولتهم فجفنة بن عمرو ولذلك نرى بعض المؤرخين يسمونهم اولاد جفنة

واشهر ملوكهم « جفنة الاصغر » وكان يلقّب بالمحرّق

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام (زيدان)

لانهُ اغار عَلَى الحيرة واحرقها [١] . وخلفهُ « الحارث الاعرج » وهو اعظمهم كان كثير المغازي والغارات كريماً كثير المواهب . وكان المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قد غزا برّ الشام فحمل الحارث عَلَى جيشه وهزمهُ شرّ هزيمة . وتعرف هذه المعركة عند العرب بيوم حليمة نسبة الى حليمة بنت الحارث التي كانت في جيش ابيها تحضّ الرجال عَلَى قتال الاعداء [٢]

ومما يدلّك عَلَى مقام الحارث انه لم يجتمع بباب احد من الملوك ما اجتمع ببابه من الشعراء فمنهم لَبيد وحسان بن ثابت والنابغة وقد اجمع الكل عَلَى انه كان من خيرة الملوك ويرجّح ان وفاته كانت في السنة ٥٨١ ميلادية . وآخر ملوكهم « جبلة بن الايهم » تولّى سنة ٦٣٦ م فادرك الاسلام وأَسلم في ايام الامام عمر بن الخطاب ثم ارتد الى المسيحية وسبب ارتدادهِ عَلَى ما يزعمون الحادثة الآتية :

قيل قدم مكة حاجاً وفيما هو يطوف بالبيت اذ وطئ أَعرابيٌّ طرف ازارهِ فغضب جبلة ولطمهُ لطمة هشم بها انفهُ فرفع الاعرابي امره الى الخليفة عمر فقال عمر لجبلة دعهُ يلطمك كما لطمتهُ فقال جبلة أَلا يفضَّل ملك عَلَى سُوقة فقال عمر

---

(١) ابو الفداء (٢) ابن قُتيبة

كلاّ فانّ الاسلام سوّى بينكما فغضب جبلة من ذلك وصبر الى الليل ثم فرّ الى الشام ومنها سار الى قيصر ملك الروم وبقي عنده حتى مات وبموته انقرضت ملوك غسان واصبحت بلادهم ولاية اسلامية· وجبلة هذا هو الذي قصدهُ حسان بن ثابت ومدحهُ ووصف بلاطه

وكانت دولة غسان من اشهر دول العرب وربما بلغوا من الحضارة ما لم تبلغهُ دولة جاهلية· وذلك لتأثير التمدن الروماني على اخلاق شعبها اما مدة ملكهم فمختلف فيها· والارجح ان دولتهم بقيت نحواً من اربعمائة سنة وذلك من اوائل القرن الثالث للميلاد الى الفتح الاسلامي

اسئلة

(١) من اين اتى الغساسنة والى مَن يرجعون نسبهم

(٢) صف اشهر ملوكهم

(٣) اي يوم يعني النابغة بيوم حليمة في قوله

ولا عيبَ فيهم غير انّ سيوفهم ... بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب
تُخُيِّرنَ من ازمان يوم حليمة ... الى اليوم قد جُرِّبنَ كل التجارب

(٤) ما علاقة الغساسنة بالرومان

(٥) اي ملك اسلم منهم ثم ارتد· اذكر سبب ارتداده

ملوك كندة

في نجد

من ٤٥٠ م — ٥٤٠ م (على وجه التقريب)

كندة قبيلة او قبائل مشهورة يرجع نسبها الى عرب الجنوب من بني قحطان. وكانت في اوَّل امرها فوضى لا رأس لها يأكل قويّها ضعيفها وما زالوا كذلك حتى قام منهم في منتصف القرن الخامس للميلاد امير اسمه حُجر بن عمرو الملقب بآكل المرار فسدّد امورهم وملك عليهم ومنهُ تبتدئ دولة كندة

ومن ملوكهم الحرث بن عمرو بن آكل المرار وهو الذي غزا الحيرة وطرد ملكها كما مرّ معنا في خبر سابق ثم غُلب عَلَى امره وكان له خمسة بنون اقتسموا الملك بينهم فكان احدهم حُجر عَلَى بني اسد وغطفان فقبلوه في اول الامر ثم انتقضوا عليهِ وقتلوهُ وكان له غلام اسمه امروء القيس (هو الشاعر المشهور واسم أُمهِ فاطمة اخت كليب والمهلهل اللذين اشتهرا في حروب بكر وتغلِب) فلجأ الى امبراطور الرومان في القسطنطينية يستنجدهُ عَلَى قتلَة ابيهِ وفيما هو عائد من القسطنطينية اصابه مرض فمات

في انقرة من اعمال الاناضول ويقال بل مات مسموماً وبموته كان آخر العهد بملوك كندة . وسيأتي ذكره في اخبار اصحاب المعلقات

ملوك متفرقون

ومن ملوك العرب « عمرو بن لُحَي » كان ملكاً في الحجاز وكان جلوسه عَلَى السرير سنة ٢٠٧ م وهو اول مَن اتى بالاصنام الى مكة من ارض الشام [1] . ومنهم « زهير » بن حباب ملك قضاعة وكان شجاعاً موفقاً في غزواته ومنهم « كليب بن ربيعة » وكان مسكنه في تهامة وهو الذي قتلهُ جساس بن مرة . ومن ملوك العرب « قيس بن زهير » امير بني عبس وفي ايامه حدثت حرب داحس والغبراء كما سيجيء . وغير هؤلاء كثير من الملوك عَلَى أنهُ لا يراد بالملك عند العرب القدماء ما نفهمهُ نحن اليوم من ذلك اللفظ بل يراد بهِ امير القبيلة وزعيمها لا غير

(١) ابن هشام

عرب الجاهلية عموماً

العرب عَلَى اختلاف طبقاتهم نوعان بدو وحَضَر. فالبدو قبائل رحَّل يسكنون البادية و يتنقلون فيها من مكان الى مكان اما مساكنهم فخيام يضربونها حيث يطيب لهم المقام فاذا قلَّ الماء والكلاء في مكان قوَّضوها وانتجعوا مكاناً آخر ويمتازون بشدَّتهم وأنفتهم ومنافستهم في الرئاسة حتى قلما تجتمع اهواؤهم وهم قبائل كثيرة كل قبيلة فروع عديدة يقال لها بطون وافخاذ دأبهم الغزو والنهب ولهم تعلُّق شديد بأنسابهم ولذلك كانت العصبيةَ امراً ضرورياً لرؤَسائهم وهم بعيدون عن السياسة لما في طباعهم من كره الخضوع للرئاسة موصوفون بالشهامة والحميَّة والكرم يحبون المفاخرة بالانساب وبالاعمال التي تدل عَلى بأسهم وسخائهم. ويحافظون عَلَى الاعراض محافظة شديدة. وقد دعاهم تطرُّفهم في ذلك الى وأد بناتهم (اي دفنهنَّ عند ما يولدن) على ان هذه العادة الذميمة بطلت بعد الاسلام

اما الحضَر فهم الذين يأوون القرى والمدن ويسكنون البيوت كما كان اهل مدن اليمن والحجاز والعراق والشام وغيرها من مدائن بلاد العرب. وهؤلاء الحضر اهل تجارة وزراعة ولهم

صنائع كثيرة عُرفوا بها. على انهم لم يكونوا كالبدو في حرية الطباع وشرف النفس والنخوة وطالما كان البدو يعيرونهم بذلك وفي اشعارهم كثير مما يدلُّ عَلَى احتقارهم عيشة المدن وازدرائهم ما ينشأُ في النفس منها . اما ديانتهم قبل الاسلام فكانت عَلَى العموم وثنية واشهر اصنامهم هُبَل واللات والعزّى ومناة . وكانوا يحجون البيت ويعتمرون (يزورون) ويطوفون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى [1] . عَلَى انه كان بينهم كثير من القبائل المسيحية واليهودية فكان العرب عموماً يعرفون شيئاً عن الله او كانوا عَلَى الأقل مستعدين لقبول دعوتهِ ولذلك نما الاسلام بينهم نموا عظيماً وربطهم على اختلاف عصبياتهم برباط التوحيد

« اما قبائلهم فكان ولا يزال يسوسها الشيوخ والامراء ويحكمونها حكماً قريباً من المطلق والحكم عند ورائي للأرشد لكنهم لا يراعون في ذلك الاّ القوّة وكانوا اذا اعتدى فرد من قبيلة على آخر من قبيلة اخرى يرفع المظلوم ظلامته الى رئيس القبيلة التي منها خصمه فاذا انصفهُ فبها والاّ قامت الحرب بين القبيلتين فسفكت الدماء أشهراً وربما دامت سنين »

---

(١) الشهرستاني

وقد ذكرنا فيما سلف اشهر الممالك العربية الجاهلية ليكون للطالب إلمام باحوال العرب عموماً. بقي علينا ان نذكر هنا شيئاً عن وقائع العرب المشهورة و يسمونها ايام العرب اشهرها ما ياتي:

حرب البسوس — بين قبيلتي تغلب و بكر. وخلاصتها ان كُلَيباً سيد بني تغلب قتل ناقة لرجل اسمهُ سعد كان نازلاً عَلَى البسوس عمة جسَّاس بن مرَّة سيد بكر . فعدَّ جساس ذلك اهانة له وما زال حتى انفرد بكليب وغدر بهِ فقتلهُ. وعند ذلك دارت رحى الحرب بين القبيلتين ودامت نحو اربعين سنة اشتهر في اثنائها المهلهل اخو كليب المعروف عند العامة بالزير وفي نهاية هذه المدة توسط المنذر الثالث ملك الحيرة بين الفريقين فاخمد بوساطتهِ نار الحرب وعقد الصلح بين المتحاربين

حرب داحس والغبراء — بين قبيلتي عبس وذُبيان . خلاصتها انهُ كان لقيس بن زُهير سيد عبس جواد اسمه داحس وكان لحذيفة بن بدر سيد ذبيان فرس اسمها الغبراء. فتراهن قيس وحذيفة عَلَى ايُّهما اسرع واقاما للسباق يوماً مشهوداً. فلما جرى الفرَسان لاح السبق في جانب داحس . ولكن قبل الوصول الى آخر الميدان تصدَّى له رجل من ذبيان كان كامناً له. فجفل داحس وخرج عن الطريق السويّ فسبقتهُ الغبراء

فطالب قيس حذيفة بالرهن فأَبى وأدّعى السبق للغبراء · عند ذلك ثار غضب قيس وقتل اخا حذيفة فاشتبكت القبيلتان وبقيت الحرب بينهما زمناً طويلاً حتى دخل بينهما سيّدان عظيمان هما الحارث بن عوف وهَرِم بن سنان فاوقفا الحرب · وقد ذكر زهير بن ابي سلمى ذلك في معلقته ومدح هذين السيدين مدحاً عظيماً

وممن اشتهروا في هذه الحرب عنترة بن شدّاد العبسي وقصتهُ شهيرة جداً يعرفها الخاصّ والعامّ وسيأْتي ذكرها · وللعرب غير ذلك كثير من الوقائع والغارات مما لا فائدة من ذكره في هذا المقام

اسئلة

(١) اذكر بعضاً من صفات البدو

(٢) صف ديانتهم و بعض عوائدهم

(٣) اذكر ما تعرفهُ عن حرب البسوس

(٤) ماذا تعرف عن داحس والغبراء وما سبب الحرب المنسوبة اليها

(٥) اذكر بعض القبائل المشهورة واسماء ملوكها

(٦) ماذا تعرف عن قبائل كندة · اذكر بعض اسياد العرب المشهورين عند العامة

آداب الجاهلية وعلومها

لم تكن جزيرة العرب لهجةً واحدة بل كان بين القبائل اختلاف بيّن في لغاتها · وقد خُصّت قريش منهم بالسيادة اللغوية لنزولها كما مرّ معنا في مكة وفيها الكعبة يحجّ اليها العرب من سائر الاقطار · فكانت قريش منتدى القبائل ولغتها رابطة لغاتهم وذلك بالطبع هذّبها وجعلها ارقى سائر اللغات العربية وأجودها · وقد اعان عَلَى ذلك الاسواق الادبية التي كانت العرب تقيمها اشهرها عكاظ وهي قرية بين نخلة والطائف كان فيها سوق سنوية تستمر نحواً من عشرين يوماً فيجتمع فيها قبائل العرب عَلَى اختلافها ولكل قبيلة نخبة من الشعراء والخطباء يتناشدون الاشعار ويتنافسون في الخطب · والعرب من ملوكهم الى صعاليكهم يصغون اليهم ويحرصون على التقاط اقوالهم

ومثل عكاظ سوق ذي المجاز خلف جبل عرَفات وسوق مِجَنّة وغيرهما من الاسواق · وكان همُّ الشعراء والخطباء ان تكون الفاظهم مألوفة تفهمها جميع القبائل التي كانت تختلف الى تلك الاسواق · ولما كان الأدب العربي منحصراً في الشعر عَلَى الغالب كان للشعراء عندهم المنزلة الاولى فهم امراء الكلام

وفرسان الحروب وأَهل الحلّ والعقد · وكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر تقيم الاحتفالات العظيمة اكراماً لهُ فتأْتي اليها سائرُ القبائل تهنئها بهِ · اما منثورهم فنوع من الحِكم والخطب القصيرة عَلى ان علومهم لا تستحق الذكر وهي مقتصرة عَلى بعض المعرفة بالانواء والنجوم والتطبيب والأنساب والقيافة · ولم تكن العرب تستعمل الخط بل كانوا يحفظون اقوال ادبائهم في صدورهم ولذلك كثر الرواة منهم وهؤلاء الرواة هم الذين نقلت عنهم اخبار العرب ومآثرهم الادبية · اما الخط فالارجح ان اهل الحيرة نقلوه عن الارامية فأَخذهُ عنهم اهل الحجاز وعرف بعد الاسلام بالخط الكوفي نسبةً الى مدينة الكوفة التي كانت مدينة العلم في صدر الاسلام · وكان الخط غفلاً من الحركات والنقط فاصلحهُ ابو الاسود الدؤلي في ايام معاوية ثم أَتمّ اصلاحه الحجّاج بن يوسف في ايام عبد الملك بن مروان · وفي اواسط العصر العباسي قام ابن مقلة الكاتب المشهور فابدل الشكل الكوفي بالشكل العربي وما زال الخط يرتقي من ايامه الى الان حتى بلغ ما بلغهُ في هذا العهد من الجودة والاتقان

ولم يكن الشعر العربي في اول نشوئهِ فناً معروفاً باوزان خاصة بل كان الشاعر يرسل كلامه نثراً مسجوعاً ثم نشأَ الرجز

عَلَى زعم بعضهم وهو اقرب الاوزان الى السجع لان صدره ُ وعجزهُ مبنيان عَلَى قافية واحدة ويقال انهُ مأخوذٌ عن حركة الجمال في مشيها وهذا مثال منهُ :

لاأحظ الدُ|دنيا بعي|ني ْوامق ِ ولا أبا|لي قلَّـةَ الـ|موافق ِ

وبقي الشعر رجزاً او ما يشبههُ زمناً طويلاً حتى ظهرت البحور المختلفة وهي مع الرجز ستة عشر بحراً . وكان العرب قبل الاسلام يعرفون اكثرها وينظمون عليها عَلَى انها لم تدوّن ولم تجعل علماً خاصاً إلاّ بعد ان جمعها الخليل بن احمد ووضع لها احكامهُ المشهورة . اما طريقتهم في النظم ففي الغالب واحدة يبتدئ الناظم بذكر الديار والدِمَن والآثار فيشكو ويبكي ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدّة الشوق وألم الوجد والفراق ثم يرحل ويشكو النصَب والسهر وسرْي الليل وإنضاء الراحلة ثم يبدأُ بالمديح[١]

تلك كانت طريقتهم في النظم وقد تبعهم فيها شعراء الاجيال التي تلتهم اللهمَّ الاَّ نفراً اختطُّوا لانفسهم اساليب جديدة دفعهم اليها اختلاف احوالهم وحرّية طبائعهم . وقد

(١) ابن قُتيبة

عُرف الشعر الجاهلي مع خشونتهِ و بعدهِ عن المألوف بالمتانة ودقة التعبير عن العواطف الطبيعية وذلك لِما في ناظميهِ من الميل الى بسيط العيش والبعد عن التصنع والتكلّف وهذه مزيّة الشعر البليغ ان يؤتى بهِ تبعاً لِما يتطلبهُ هيجان النفس من الوصف او الحماس او الغزل وغيرها من ابواب الشعر بحيث يكون خارجاً من اعماق النفس جارياً مجرى القلب مستمدّاً من منابع الطبيعة . ومايقال عن الشعر الجاهلي من هذا القبيل يقال عن الخطابة ايضاً . فقد كان الخطباء الاقدمون يقيمون القبائل و يقعدونها بخطبهم الوجيزة وذلك لامتلائها من الايقاع المؤثر الذي يصحب العواطف الموزونة و يشفُّ عن هيجان النفس . على انهُ من الخطإ ان نجزم بأفضلية الجاهليين على سواهم في ضروب النثر والشعر فان في الاجيال التي خلفتهم رجالاً فاقوا اسلافهم وسبقوهم في ميادين الادب وذلك طبيعيٌّ في الامم الحية التي تنمو وتتقدم بتقدُّم الزمان

اما الذي وصل الى ايدينا من آداب الجاهلية فمعظمهُ من اعمال القرن الاول و بعض القرن الثاني قبل الاسلام وهو يدلّ على هبّة فكرية حدثت في ذلك الوقت فتركت لنا كثيراً من مآثرهم وسنقتصر فيما يلي على ذكر اشهر مشاهيرهم مع امثلة من اجود اقوالهم

اسئلة

(١) كيف توحدت لغات العرب

(٢) ماذا تعني باسواق العرب اذكر اشهرها

(٣) صف الشعر الجاهلي

(٤) اذكر ما تعرفه عن نشوء الخط العربي

المعلّقات

اشهر قصائد الجاهلية عَلَى الاطلاق وقد ذهب المؤرخون في اصلها مذاهب شتى. فقال بعضهم انها كُتبت بماء الذهب وعلّقت عَلَى استار الكعبة فكان العرب يسجدون لها وهو قول مغلوط فنّدهُ البحث الحديث كما فنّدهُ ايضاً بعض من الكتبة القدماء. اما جامع هذه القصائد فحمّاد الراوية المتوفى ٧٧٢م اي في صدر الدولة العباسية. وقد سميّت ايضاً السبع الطوال والسموط والمذهبات وكما اختلف العلماء في اصل تسميتها اختلفوا في عددها واسماء ناظميها والشائع عَلَى ألسنة الجمهور انها سبع ولكن بعضهم اوصلها الى العشرة. وللافرنج اهتمام خاصّ بها ومنهم من قضى السنين في درسها وتعليق الحواشي الضافية عليها وهي متشابهة في دلالتها عَلَى الاخلاق البدوية ووصفها حياة العرب في الجاهلية وهاك اسماء اصحابها

امرؤ القيس

توفي سنة ٥٤٠ مسيحية

يرجع نسب هذا الشاعر الى ملوك كندة الذين مر ذكرهم في غير هذا الموضع . وكان حُجر والد امرئ القيس كما سلفَ في الكلام عن قبائل كندة ملكاً عَلَى بني اسد وغطفان فلما قاموا عليهِ وقتلوه كان امرؤ القيس غائباً في اليمن يجول في احياء العرب مع بعض الاخلاط ولا همَّ لهُ غير الصيد والشعر والشراب فلما اتاهُ نعي والدهِ غضب غضباً شديداً لكنهُ عرف عجزه عن مقاومة الاعداء فاستجار قبائل العرب فلم يجرْهُ غير السموأل (١) صاحب الابلق الفرد . فاستودعه امروء القيس دروعه وامواله ثم رحل الى القسطنطينية يستنصر ملك الروم عَلَى قتلة ابيه . فوعدهُ القيصر خيراً لكنَّ الوعد لم يجدِهِ نفعاً لانه مات عَلَى الطريق كما ذكر سابقاً

---

(١) السموأل « صموئيل » امير يهودي مشهور يضرب المثل بهِ في الوفاء وذلك لانه آثر ان يُقتل ابنه عَلَى ان يخفر بذمته و ينقض وعده وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها

اذا المرء لم يدنسْ من اللؤم عرضهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وإنْ هوَ لم يحملْ عَلَى النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ
تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا فقلت لها انَّ الكرامَ قليلُ

اما معلقتهُ فمن الطبقة الاولى ويعزون اليه السبق في كثير من المعاني الشعرية وربما جعلوه إمام الشعراء الاقدمين · وقد اجمع الكتبة على مدح شعره وهو يستهل قصيدتهُ بالوقوف على منزل الحبيب والبكاء من ذكراه ثم يذكر حادثة جرت لهُ مع ابنة عمه عنيزة وكان يحبها ويتخلص من ذلك الى وصف فرسهِ وشدة بأسهِ وكيف كان يقطع البوادي حيث لا يرى الانسان الاّ الذئاب وجوارح الطيور وينتهي بوصف المطر وقصف الرعد في جبل من جبال نجد

نخبة من معلّقتهِ

وهي ثمانون بيتاً من البحر الطويل

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
بسقط اللوى بين الدَّخول فحوملِ (١)
فتوضحَ فالمقراةِ لم يعفُ رسمُها
لما نسجتهُ من جنوبٍ وشمألِ (٢)

---

(١) الدخول وحومل · موضعان · وسقط اللوى · منقطع الرمل

(٢) فتوضح والمقراة موضعان · عفا الرسم · امّحى · الجنوب الريح الجنوبية والشمأل الشمالية

كأني غداةَ البينِ يوم تحمّلوا
لدى سَمُرات الحيّ ناقف حنظلِ (١)
ففاضت دموع العين مني صبابةً
على النحرِ حتى بلّ دمعيَ محملي
ويوم دخلتُ الخدرَ خدرَ عُنيزةٍ
فقالت لك الويلاتُ إنّك مُرجلي (٢)
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
عقرت بعيري يا امرءَ القيس فانزلِ (٣)
فقلت لها سيري وأرخي زمامهُ
ولا تُبعديني من جناكِ المعلّلِ
أفاطمَ مهلاً بعد هذا التدلّلِ
وان كنتِ قد ازمعتِ صرمي فأجملي
أغرّكِ مني أنّ حبكِ قاتلي وانكِ مهما تأمري القلب يفعلِ
تسلّت عمايات الرجال عن الهوى
وليس فؤادي عن هواكِ بمنسلي

---

(١) السمرات اشجار · نقف الحنظل · اي شقهُ عن حبهِ · والحنظل ثمر مرّ الطعم تدمع العين من نقفهِ (٢) اراد بالخدر هنا الهودج الذي على ناقتها · مرجلي تصيّرني راجلة اي ماشية (٣) الغبيط نوع من الهوادج · عقرت بعيري · اي جرحت ظهر جملي

وليلٍ كموج البحرِ مرخٍ سدولَهُ على بأنواع الهموم ليبتلي (١)
فقلت لهُ لمّا تمطّى بصلبهِ وأردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ (٢)
ألا ايها الليلُ الطويل الا انجلي
بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثلِ
فيا لكَ من ليلٍ كأنّ نجومهُ
بامراس كتّان الى صمّ جندلِ (٣)
ووادٍ كجوف العَير قفرٍ قطعتهُ
بهِ الذئب يعوي كالخليع المُعيَّلِ (٤)
فقلتُ لهُ لما عوى إنّ شأننا
قليلُ الغنى إنْ كنتَ لمّا تموّلِ (٥)

---

(١) ارخى سدولهُ · اي انزل ستوره · ليبتلي اي ليجرّب

(٢) تمطّى · تمدّد · الصلب عظم الظهر · اردف اي اتبعَ · الاعجاز جمع عجز وهو المؤخر · ناء بعُدَ · الكلكل الصدر · والمعنى لما طال الليل وبعدت اوائله وازدادت اواخره تطاولا (٣) الجندل الصخرة · الاصمّ الصلب · اي كأنّ النجوم مقيدة بامراس كتان الى الصخور الصماء فلا تتحرك ولا يطلع الصباح (٤) العير · الحمار · وقيل المراد بجوف العير وادٍ بعينهِ وهو قفر لا ينبت فيه شيء · الخليع الذي نبذهُ اهله لخبثهِ او هو المقامر · والمعيَّل · صاحب العيال (٥) تموّل · تتمول اي تكون ذا مال

كلانا اذا ما نال شيئاً أفاتهُ
ومن يحترثْ حرثي وحرثك يهزلِ
وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتها بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ هيكلِ (١)
مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمود صخرٍ حطّهُ السيلُ من علِ (٢)

وبعد وصف الفرس وذكر فروسيتهِ يصف المطر فيقول

أصاح ترى برقاً أُريك وميضهُ كلمع اليدينِ في حبيٍّ مكللِ (٣)
فأضحى يسحُّ الماء حول كُتيفةٍ
يكبُّ على الاذقانِ دوحَ الكنهبلِ (٤)
كأنَّ ثبيراً في عرانينِ وبلهِ كبيرُ أُناسٍ في بجادٍ مزملِ (٥)

اسئلة

(١) ماذا تعرف من اخبار امرئ القيس (٢) صف معلقتهُ واذكر مجملها (٣) انثر الابيات التي يخاطب بها الليل

---

(١) الوكنات . مجاثم الطير . المنجرد الفرس الماضي في السير . هيكل اي عظيم . قيد الاوابد . اي كأنهُ يقيّد الوحوش بسرعته فيلحقها حالاً (٢) مكرٍّ مفرٍّ . شديد الكر والفر . مدبر . مدير قفاه . الجلمود الصخر العظيم . من علِ اي من فوق (٣) الحبي المكلل . السحاب المتراكم حتى صار اعلاه كإكليل (٤) كتيفة اسم مكان . دوح الكنهبل . نوع من الشجر . يكبُّ اي الاذقان . يلقي على الوجوه (٥) ثبير . اسم جبل . العرانين الأُنوف . يقصد بهِ اوائل المطر . البجاد . كساء مخطّط . مزمّل . ملفف

طَرَفة بن العبد

توفي سنة ٥٦٤ م

وهو من قبيلة بكر وكانت عشيرتهُ في البحرين عَلَى خليج فارس. قال الشعر وهو حدث وكان ككثير من شعراء الجاهلية وغيرهم ذا لهوٍ وقصف فبذَّر مالهُ واضاع منزلتهُ. ويقال انهُ شهد حرب البسوس وأبلى بلاءً حسناً فيها وهو شاعر جريء متوقد الطبع لكنهُ مات في زهرة شبابهِ (قيل في العشرين من عمره) فلم يُتح لهُ ان يبلغ كمال نموّهِ الشعري

ولما وضعت حرب البسوس اوزارها ذهب الى عمرو بن هند ملك الحيرة فاكرمهُ وجعلهُ من شعراء بَلاطهِ كما جعل خالهُ المتلمس ايضاً. لكنَّ جرأته الزائدة وما يمازجها من مرارة اللسان وطيش الصبا هاجت نقمة الملك عليهِ فقتله ويزعمون في قتله انهُ ارسل اليه والى خاله المتلمس وأمرهما بالرحيل الى البحرَين وأعطى كلاً منهما كتاباً مختوماً الى عاملهِ هناك. فلما خرجا من الحيرة داخل المتلمس رَيب في امر الكتاب ولم يكن هو ولا طرَفة يعرفان القراءة فدفع كتابهِ الى صبيّ من صبيان الحيرة فقرأهُ واذا هو امر لعامل البحرَين ان يدفن حامله حيّاً. فمزق

المتلمس الكتاب وفرّ أما طَرَفة فأبت عليهِ أنَفَتُهُ ان يفعل فعل خاله فاوصل الكتاب مختوماً الى عامل البحرين فقتلهُ

اما معلقته فانها تمثّل لنا اخلاقه افضل تمثيل . واليك بعضها :

نخبة من معلقة طرفة بن العبد

وهي نحو مائة وثلاثة ابيات من البحر الطويل

لخولةَ اطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ
تلوحَ كباقي الوشم في ظاهر اليدِ (١)
وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم يقولونَ لا تهلكْ اسى وتجلَّدِ

وبعد ان يصف ناقتهُ وصفاً مسهباً يقول

على مثلها أمضي اذا قال صاحبي
ألا ليتني افديك منها وافتدي
اذا القومَ قالوا من فتىً خلت أنني
عُنيت فلم اكسل ولم اتبلّدِ
وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقني
الى ذروة البيت الكريم المصمّدِ (٢)

---

(١) خولة اسم امرأة . برقة ثهمد اسم موضع . الوشم . رسم يغرز بالابرة على اليد (٢) المصمّد المقصود . اي اذا اجتمع الناس للفخار فأنا انتمي الى اشرف البيوت

ألا ايها ذا اللائمي اشهدَ الوغى
وان احضر اللذّاتِ هل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيّتي
فدعني ابادرها بما ملكت يدي
ارى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ
وما تنقصُ الايامُ والدهرُ ينفدِ
فمالي اراني وابن عميَّ مالكاً   متى ادنُ منه ينأ عني ويبعدِ
وظلم ذوي القربى اشدُّ مضاضةً
على النفس من وقع الحسام المهنّدِ (١)
انا الرجل الضرب الذي تعرفونهُ
خشاشٌ كرأس الحيّة المتوقدِ (٢)
فان متُّ فانعيني بما انا اهله   وشقّي عليَّ الجيب يا ابنة معبدِ
ولا تجعليني كامرئ ليس همّهُ   كهمّي ولا يغني غنائي ومشهدي
فلو كنتَ وغلاً في الرجال لضرّني
عداوة ذي الاصحاب والمتوحّدِ (٣)

---

(١) المضاضة — الألم . الحسام المهنّد . السيف القاطع

(٢) الضرب . اي الخفيف اللحم . الخشاش . الماضي من الرجال الشديد العزم او الدخّال في الامور بسرعة (٣) الوغل . اللئيم . المتوحد . المنفرد الذي لا اتباع لهُ

ولكن نفى عني الرجال جراءتي عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي[1]

ويوم حفظت النفس عند اعترا كها

حفاظاً عَلَى عوراته والتهدُّدِ[2]

عَلَى موقف يخشى الفتى عند الردى

متى تعترك فيه الفرائص ترعدِ[3]

ستبدي لك الايام ما كنتَ جاهلاً

ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوّدِ

ويأتيكَ بالاخبار من لم تبعْ لهُ

بتاتاً ولم تضرب لهُ كفٌ موعدِ

اسئلة

(١) من اي قبيلة طرفة وكيف كانت حياته

(٢) اي حرب شهد . وفي بلاط اي ملك عاش

(٣) ما الذي هاج نقمة الملك عليهِ وكيف قتل

(٤) اذكر بعض ابيات من قصيدته

انثر ما يأتي —

فلو كنت وغلاً في الرجال لضرّني عداوة ذي الاصحاب والمتوحدِ

ولكن نفى عني الرجال جراءتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي

---

(١) المحتد . الاصل (٢) اي ربَّ يوم حبست فيهِ نفسي عن القتال محافظة عَلَى شرفي (٣) الفرائص جمع فريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف وترتعد عند الخوف

عَمرو بن كُلثوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو سيّد قبيلة تغلِب اشتهر بالرجولية وعزّة النفس وأُمهُ ليلى ابنة المهلهل المشهور

يُحكى ان عمرو بن هند ملك الحيرة قال ذات يوم لندمائهِ هل تعلمون احداً من العرب تأْنف امهُ من خدمة امي فقالوا نعم عمرو بن كلثوم فارسل ملك الحيرة الى ابن كلثوم يستزيرهُ ويسأله ان يُزير أُمهُ أُمَّهُ فاقبل ابن كلثوم في جماعة من تغلب ومعهُ أُمّهُ وضرب رواقاً فيما بين الحيرة والفرات ثم دخل عَلَى الملك ودخلت أُمهُ عَلَى ام الملك وكان عمرو بن هند أَمر أُمّهُ ان تنحّي الخَدم اذا دعا بالطُرَف وتستخدم ليلى فلما دعا بالطُرَف التفتت امهُ الى ليلى ام عمرو بن كلثوم وقالت ناوليني يا ليلى ذلك الطبق فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فاعادت عليها وأَلحَّت فصاحت ليلى واذلّاه يا لَتغلب فسمعها ابنها فثار الدم في وجهه. ثم وثب الى سيف معلّق بالرواق فضرب به رأس الملك ثم نجا هو واصحابه (١)

---

(١) ملخصة عن الاغاني

اما معلّقتهُ فقد نظمت عَلَى اثر تلك الحادثة وتصوّر لنا حالة الفروسية الحقّة كما كان يراها العرب وهي ملأى بالفخر والمباهاة عَلَى ان ذلك لا يحطّ من قدرها لان عادة البطل في الجاهلية ان يفاخر بنفسهِ وبقومهِ ويتغنَّى بمحامد عشيرتهِ وهذا طبيعي فيمن حالتهم كحالة العرب القدماء · فاذا فخر عمرو بن كلثوم فانما يفخر بما كان يشعر بهِ من القوّة والكرامة يدفعهُ الى ذلك عزّة نفسهِ واباؤهُ وتوقّد خاطرهِ والذي يقرأ اياتهُ يشعر بارتياح الى ذلك النَفَس العالي المستمدّ من طبيعته النارية · وتبدأُ المعلّقة بشرب الخمر ثم ينتقل الشاعر الى مخاطبة عمرو بن هند ملك الحيرة بكلام يدلُّ عَلَى استخفافه بهِ وتخلص من ذلك الى المفاخرة بقبيلة تغلب وتبيان محامدها

نخبة من معلقة ابن كلثوم

وهي مائة ونيف من البحر الوافر

الا هبّي بصحنكِ واصبحينا ولا تُبقي خمورَ الأَندرينا (١)

مُشعشَعةً كأَنَّ الحُصَّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا (٢)

تجور بذي اللُبانة عن هواهُ اذا ما ذاقها حتى يلينا (٣)

(١) الصحن القدح العظيم · وصبح اي سقى الخمر صباحاً · الاندرون قرى بالشام (٢) الحص نبات لهُ زهر احمر · مشعشعة ممزوجة بالماء · السخين الحارّ (٣) اللبانة الغرض · جار بهِ عن كذا اي مال به

وإنّا سوف تُدركنا المنايـا   مُقدّرةً لنـا ومقدّرينا
قفي قبل التفرُّق يا ظعينا   نخبّركِ اليقين وتخبرينـا[1]
وإنّ غداً وانّ اليوم رهنٌ   وبعـد غدٍ بمـا لا تعلمينا
أبا هنـدٍ فلا تعجل علينـا   وأنظرنا نخبّركَ اليقينـا[2]
بأنّـا نورد الراياتِ بيضاً   ونصدرهنّ حمراً قد رُوينا
وايـامٍ لنـا غرٍّ طوالٍ   عصينا الملْكَ فيها ان ندينا[3]
نُطاعِنُ ما تراخى الناس عنا   ونضربُ بالسيوف اذا غُشينا[4]
وإنّ الضِغنَ بعدَ الضِغنِ يبدو   عليكَ ويخرجُ الداءَ الدّفينا
ألا لا يجهلنْ احدٌ علينا   فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا
بأيِّ مشيئةٍ عمرو بن هندٍ   تطيع بنـا الوشاة وتزدرينا
تهدّدُنا وتوعدُنـا رويـداً   متى كنّا لأُمّكَ مقتوينا[5]
فإنّ قناتنـا يا عمرو أعيت   عَلى الاعداء قبلك ان تلينا
اليكم يـا بني بكرٍ اليكم   أَلمّـا تعرفوا منـا اليقينا

---

(١) الظعينة المرأة في الهودج وهي راحلة وحذفت التاء في الشعر للترخيم (٢) أنظرنا اي امهلنا (٣) الغرّ البيض المشهورة ومعنى البيت وفي تلك الايام عصينا الملك كراهية ان نتذلل لهُ
(٤) اي اذا ابتعد الناس عنا طعناهم بالرماح واذا هاجمونا فبالسيوف
(٥) المقتوون اي الخدّام

أَلَمَّا تعرفوا منَّا ومنكم كتائبَ يطَّعنَّ ويرتمينا
وقد علم القبائل من معدٍّ اذا قُبَبٌ بأبطحها بُنينا (١)
بأنَّا المطعمون اذا قدرنا وأنا المهلكونَ اذا أُبتُلينا
وأنَّا المانعونَ لِما اردنا وأنا النازلونَ بحيث شِينا
وأنَّا التاركونَ اذا سخطنا وأنَّا الآخذونَ اذا رضينا
ونشرب ان وردنا الماءَ صفواً ويشرب غيرنا كدَراً وطينا
اذا ما المَلْك سامَ الناس خسفاً أَبينا ان نُقرَّ الذُلَّ فينا
ملأْنا البرَّ حتى ضاق عنَّا وماءُ البحر نملأُهُ سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ تخرُّ لهُ الجبابر ساجدينا

اسئلة

(١) صف اخلاق عمرو بن كلثوم
(٢) ما الداعي الى نظم معلقته
(٣) ما معنى الابيات الآتية · انثرها على اللوح او عَلَى الورق
فانَّ قناتنا يا عمرو اعيت الخ
ونشرب ان وردنا الماءَ صفواً الخ
اذا ما الملك سام الناس خسفاً الخ

---

(١) معدّ · قبيلة مشهورة · الأبطح المكان الواسع

الحارث بن حِلِزَّة

توفي سنة ٥٩٠ م

هو من قبيلة بكر وسبب نظم معلقته ان عمرو بن هند ملك الحيرة لما جمع بين قبيلتي تغلب وبكر واصلح بينهما اخذ من القبيلتين رهناً من كل قبيلة مئة غلام يسيرون معهُ. ثم ان غلمان تغلب هلكوا. قيل هبَّت عليهم سموم فاهلكتهم وقيل قتلوا وسلم البكريون فغضبت قبيلة تغلب واقبل جماعةٍ منهم اسمهم الاراقم الى ملك الحيرة يشكون من بني بكر ويتهمونهم بهلاك الغلمان. فقام حينئذٍ الحارث وانتصر لقبيلة بكر وانشد معلقتهُ يذكر فيها محامد عشيرتهِ ويعرّض بنقائص تغلب. فلما فرغ منها حكم ملك الحيرة ببراءة بكر من التهمة وانهُ لا يلزمها ما حدث على رهائن تغلب[1]. وقد ذهب العلاَّمة نولدكي الى انَّ هذه القصيدة ليست من طبقة المعلقات ولكن حماداً الراوية وهو بكري اراد ان يثبت مفاخر عشيرته معارضةً لعمرو بن كلثوم صاحب المعلقة التي يُشيد فيها باعمال تغلب فذكرها مع المعلقات ويقال ان الحارث ارتجل هذهِ القصيدة ارتجالاً وهو بحضرة ملك الحيرة

(١) الاغاني

فتوكأ على قوسهِ وأنشدها وقطم كفهُ وهو لا يشعر من الغضب ولكنَّ في هذا القول متسعاً للريب . وكان بالحارث وضح فقيل للملك انَّ بهِ وضحاً فامر ان يجعل بينهُ وبينهُ ستر فلما تكلم أُعجب بمنطقهِ فلم يزل يقول أدنوهُ أدنوهُ حتى أمر بطرح الستر واقعدهُ معهُ قريباً منهُ

نخبة من معلقة الحرث بن حلزة

وهي تسعة وسبعون بيتاً من البحر الخفيف

آذنتنا ببينها اسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منهُ الثواءُ (١)
بعد عهدٍ لنا ببرقة شمَّا م فأدنى ديارها الخَلصاءُ (٢)
لا ارى من عهدتُ فيها فأبكي اليوم ولهاً وما يُحيرُ البكاءُ (٣)

وبعد ان يصف ناقته ويذكر استعانتهُ بها في الملمَّات يقول

وأتانا من الحوادث والأنباء م خطبٌ نُعنى بهِ ونُساءُ
إنَّ اخواننا الأراقمَ يغلونَ علينا في قيلهم إحفاءُ (٤)
يخلطونَ البريَّ منا بذي الذنب م ولا ينفع الخَليَّ الخَلاءُ

(١) آذن . أعلم — البين الفراق — الثواء الاقامة (٢) برقة شمَّاء والخلصاء . موضعان (٣) يُحير اي يُرجع او يفيد (٤) الأراقم . جماعة مرَّ ذكرهم — القيل . القول — احفاء . الحاح — غلا اي جاوز الحدَّ

اجمعوا امرهم عِشاءً فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ
من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تَصهال خيلٍ خلالَ ذاك رُغاءُ(١)
ايها الناطق المرقِش عنّا عند عمرٍو وهل لذاكَ بقاءُ(٢)
لا تخلنا على غَراتكَ أنّا قبلما قد وشى بنا الاعداءُ(٣)
فبقينا علَى الشناءَة تَنمينا م حصونٌ وعزّةٌ قعساءُ(٤)
أيما خُطّةٍ اردتم فأدُّوها م الينا تشقى بها الأملاءُ(٥)
لا يُقيم العزيز بالبلد السهلِ م ولا ينفع الذليل النَّجاءُ(٦)
ليس يُنجي الذي يوائل منا رأسُ طودٍ وحرَّةٌ رَجلاءُ(٧)
فاتركوا الطَّيخ والتعاشي وإمّا تتعاشوا ففي التعاشي الداءُ(٨)

اسئلة

(١) اذكر السبب في نظم هذه المعلقة
(٢) انثر الابيات الاربعة الاخيرة

---

(١) الرُّغاء . صوت النياق (٢) المرقش اي المبلغ الملك ما يريبهُ فينا (٣) اي لا تظن ان اغراءك الملك بنا يضرّنا فقد جرّب ذلك من قبل غيرك فلم ينتفع (٤) الشناءَة . البغض — تنمينا . ترفعنا — القعساء اي المنيعة (٥) الاملاء . اي الجماعات من الاشراف (٦) النجاء . الاسراع في السير (٧) يوائل . يهرب — الحرَّة الرجلاء اي الارض ذات الحجارة السوداء والرجلاء الخشنة (٨) الطيخ . التكبر — التعاشي التعامي

عنترة بن شدَّاد

من سنة ٥٢٥ م — ٦١٥ م

هو فارس بني عبس ظهرت فروسيتهُ في حرب داحس والغبراء كما مرَّ معنا. وكان عبداً أُمهُ جارية حبشية سباها ابوهُ في بعض مغازيهِ فلم يكن ابوهُ يدعوه ابنهُ حتى اشتهر بالشجاعة وسار ذكره بين العرب. وكان يهوى ابنة عمهِ عبلة وكثيراً ما كان يذكرها في شعرهِ ولم يتمكن اولاً من الاقتران بها فهام بحبها جداً واخيراً تزوَّجها ثم مات مقتولاً. وليس احد من العامة او الخاصة لا يسمع بذكر عنترة بطل القصة المشهورة المنسوبة اليه. عَلَى ان هذه القصة موضوعة لا حقيقية وهي عَلَى الارجح من اعمال الجزء الاخير من القرن الرابع للهجرة وضعها للخليفة الفاطمي العزيز بالله رجل اسمهُ الشيخ يوسف بن اسماعيل فاشتهرت كثيراً حتى نُقلت الى بعض لغات الافرنج ويغلب عَلَى الظن انها نشأَت تدريجاً ثم جمعها الشيخ يوسف المذكور. واما شعرهُ فمن الطبقة الاولى ويمتاز بسلاستهِ وسهولتهِ وبما يتقَّد فيهِ من نيران الحماس والرجولية. ومعلقتهُ مشهورة نظمها في اواخر حرب داحس ولذلك ترى نيران تلك الحرب متقدة في كل

بيت من اياتها وهي اقرب من سائر شعره الى النَفَس الشعري الجاهلي وربما كانت اصعب قصائده واضخمها فان شعر عنترة لا يختلف في لغته عن الشعر العصري ومن يطالع قصائده يعجب من رشاقة الفاظه ورقتها في عصرا كثر شعرهِ كلام ضخم بعيد عن المألوف

نخبة من معلقة عنترة

وهي خمسة وسبعون بيتاً من البحر الكامل

هل غادر الشعراء من متردَّمِ ... ام هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ (١)

يا دارَ عبلةَ بالجِواء تكلَّمي ... وعِمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي (٢)

ان كنتِ ازمعتِ الفراق فانما ... زُمَّت رِكابكمُ بليلٍ مظلمِ (٣)

ثم بعد ان يصف عبلة ويذكر ناقتهُ يقول

هلاَّ سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ ... ان كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

يُخبرْكِ من شهد الوقيعة انني ... اغشى الوغى واعفُّ عند المغنمِ

ومدجَّجٍ كرِهَ الكماةُ نزالَهُ ... لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلِمِ (٤)

جادت لهُ كفي بعاجل طعنةٍ ... بمثقَّفٍ صدْقِ الكعوب مقوَّمِ (٥)

---

(١) المتردَّم . موضع في الثوب للرقع او للاصلاح (٢) الجواء . موضع (٣) ازمعتِ الفراق . اي عزمتِ عليهِ — زُمت ركابكم اي أُعدَّت نياقكم للسفر (٤) المدجج . الكامل السلاح — الكماة . الابطال (٥) المثقف صدق الكعوب . اي الرمح المقوم القويُّ الكعوب

فشككتُ بالرمح الأصمِّ ثيابهُ ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ

فتركتهُ جزرَ السباعِ ينشنهُ يقضمن حسنَ بنانهِ والمعصمِ (١)

نبئتُ عمراً غير شاكرِ نعمتي والكفر مخبثةٌ لنفسِ المُنعمِ (٢)

لما رأيت القوم اقبل جمعهم يتذامرون كررتُ غير مذمَّمِ

يدعون عنترَ والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لبانِ الادهمِ (٣)

ما زلت ارميهم بثغرة نحرهِ ولبانهِ حتى تسربل بالدَّمِ

فازورَّ من وقع القنا بلبانهِ وشكا اليَّ بعبرةٍ وتحمحمُ (٤)

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترُ أقدمِ

والخيل تقتحم الغبار عوابساً مابين شيظمةٍ واجردَ شيظمِ (٥)

ذللٌ ركابي حيثُ شئتُ مُشايعي لبّي وأحفزهُ بأمرٍ مبرَمِ (٦)

---

(١) جزَر السباع اي فريسة لها · ينشنهُ ويقضمنَ · يعضضنَ

(٢) اي الكفر بالنعمة ينفر نفس المنعم عن الانعام (٣) اشطان · حبال — لبان · صدر — الادهم · فرسه المشهور (٤) ازورَّ · مال — القنا الرماح — تحمحم · صوت الفرس عند رغبتهِ في استعطاف صاحبهِ

(٥) الشيظم الطويل (٦) اي نياقي ذليلة لي تطيعني ولبي يذهب معي حيث اريد فاقضي ما يقتضيهِ بأمرٍ محكم

زُهَير بن ابي سُلمى

توفي سنة ٦٣١ م

شاعر مُزَينة وسيدٌ من اسياد العرب نظم معلَّقتهُ عَلى أثر الصلح الذي عقب حرب داحس والغبراء · ووقفها عَلى مدح السيدين الكبيرين اللذين جرى الصلح عَلَى ايديهما وهما هرِم بن سنام والحارث بن عوف · والقسم الاخير من قصيدته حِكَم مشهورة جرت مجرى الامثال · ويقول بعضهم انهُ مات قبل الاسلام عَلَى ان البعض يذهبون الى انهُ ادركهُ

وهو صاحب الحَوليَّات المعروفة بحوليات زهير ويراد بها القصائد التي يقضي الشاعر في نظمها وتهذيبها وعرضها للنقد حولاً كاملاً ثم ينشدها عَلَى الملأ · ومهما يكن في ذلك مما يدعو الى التردد في قبولهِ فانهُ يدل عَلَى دقة الرجل وبُعد نظره ونضج افكاره وتلك المزايا ظاهرة في شعر زهير

قيل ورث موهبة الشعر من خالٍ لهُ اسمهُ بشامة وكان بشامة هذا كثير المال واسع الخير ولم يكن لهُ ولد فلما حضرهُ الموت جعل يقسم مالهُ في اهل بيتهِ وبني اخوتهِ فأَتاه زهير فقال يا خالاه لو قسمت لي من ذلك فقال يا ابن اختي لقد قسمت

لك افضل من ذلك واجزل قال وما هو قال شعري

وكان لزهير ابنان كعب وبُجَير وكلاهما شاعران ادركا الاسلام فأسلم بجير اولاً فلامهُ كعب وهجا النبي والصحابة ثم تاب وأسلم ونظم قصيدتهُ المشهورة المعروفة بالبردة يمدح بها النبيّ وانما سُميت البردة لان النبي خلع بردتهُ عليه وهو ينشدها في حضرتهِ . واكثر مدائح زُهير في هرِم بن سنان احد اجواد العرب المشهورين . ومما يعرَف عنهُ أنهُ لم يمدح احداً الاَّ بما فيهِ ويعدهُ العلماء من الثلاثة المقدَّمين علَى سائر شعراء الجاهلية وهم امرؤُ القيس والنابغة وزُهير

نخبة من معلقة زهير

وهي اربعة وستون بيتاً من البحر الطويل

أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنةٌ لم تَكلَّمِ بحومانة الدرَّاجِ فالمتثلَّمِ (١)

ودارٌ لها بالرقمتين كأنَّها مراجيعُ وَشمٍ في نواشرِ معصمِ (٢)

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً فلَأياً عرفتُ الدار بعدتوهُّمِ (٣)

(١) تكلَّم اي تتكلم — ام اوفى اسم امرأة — الدمنة . اثر الدار — حومانة الدرَّاج والمتثلم موضعان (٢) الرقمتين موضعان — المعصم . موضع السوار من اليد — مراجيع وشم . اي وشم مجدَّد مرَّة بعد مرة ونواشر المعصم عروقهُ (٣) الحجة السنة — اللأي المشقة

ولما عرفت الدار قلت لِرَبعها ألا انعم صباحاً ايها الرَّبعُ واسلمِ

وبعد ان يصف ركائب الاحباب وسيرهنَّ يتخلص الى مدح السيدين المذكورَين آنفاً ويقول

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ رجالٌ بنوه من قُرَيشٍ وجُرْهمِ
يميناً لَنِعمَ السيّدان وُجدتما
على كل حالٍ من سحيلٍ ومُبْرَمِ (١)
تداركتما عبساً وذبيانَ بعد ما
تفانَوا ودقّوا بينهم عِطرَ مَنْشَمِ (٢)
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالةً
وذبيانَ هل اقسمتمُ كلَّ مُقْسَمِ
فلا تكتمنَّ الله ما في صدوركم
ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يعلمِ
وما الحرب الاّ ما علمتم وذقتمُ
وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ (٣)

(١) السحيل والمبرم من الاحوال . الضعيف والقوي اي وجدتما كذلك في كل الاحوال (٢) عطر منشم . عطر ينسب الى امرأة عطارة تسمى منشم يضرب المثل به في التطير والتخوُّف لان جماعة حلفوا عليهِ في الحرب فقتلوا جميعاً . فيكون معنى البيت تداركتموهم بعد ما كادوا يقتتلون (٣) الحديث المرجَّم . الحديث يحكم فيهِ بالظنون

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتضرِ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ [1]

وفي ختامها الحِكَم المشهورة —

سئِمتُ تكاليفَ الحياة ومن يعشْ
ثمانين حولاً لا ابا لك يسأَمِ
واعلمُ علمَ اليومِ والأمسِ قبلهُ ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عَمِي
رأيت المنايا خبط عشواءَ من تُصِبْ
تُمِتْهُ ومن تُخطئْ يعمَّرْ فيهرَمِ [2]
ومن لا يُصانعْ في امورٍ كثيرةٍ
يُضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمنسِمِ [3]
ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ
يفرِهُ ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ
علَى قومهِ يُستغنَ عنه ويذمَمِ
ومن هابَ اسباب المنايا ينلْنَهُ
وانْ يرقَ اسبابَ السماء بسلَّمِ

---

(١) تضري اي تشتدَّ حرصاً علَى الانقاد (٢) تخبط خبط عشواء تسير على غير هدى — يعمر يعيش طويلاً (٣) يصانع · يداري ويداهن — يضرَّس يعض · — المنسم خفُّ الجمل

ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ اهلهِ
يكنْ حمدهُ ذمّاً عليهِ ويندمِ
ومن لم يذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ
يُهدَّمْ ومن لا يظلمِ الناسَ يُظلَمِ
ومن يغترِبْ يحسَبْ عدوًّا صديقهُ
ومن لا يُكرِّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومهما تكنْ عند أمرئٍ من خليقةٍ
وان خالها تخفى علَى الناس تُعلَمِ (١)
وكائنْ ترى من صامت لك معجب
زيادتهُ او نقصهُ في التكلُّمِ (٢)
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ
فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدّمِ

اسئلة

(١) ماذا تعرف عن عنترة بن شداد • متى نظم معلقتهُ • صف هذه المعلقة • ماذا تعرف عن قصته المشهورة • هل قرأتها • انثر الابيات التي يذكر بها فرسه (٢) من هو زُهير • ماذا تعرف عن اخباره • ما قصّة البردة • انثر خمسة ابيات من حكمهِ

---

(١) الخليقة الخصلة والطبع (٢) وكائن اي وكم

لَبِيد بن رَبِيعة

توفي سنة ٦٦١ م

وُلد لبيد في الجاهلية ومات مسلماً وكان معروفاً بالكرم وفي شعرهِ كما في شعر زهير ما يدلّ عَلَى رقة عواطفهِ الدينية. وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيهِ منذ صباه. ذكروا ان النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامهِ الى النعمان بن المنذر فتوسم فيهِ الشاعرية فسأل عنهُ فنسبوهُ فقال لهُ « يا غلام ان عينيك لَعينا شاعر أفتقرض من الشعر شيئاً » قال « نعم يا عم » قال « فانشدني » فانشدهُ قولهُ « أَلم ترجع عن الدِمَن الخَوالي. الخ » فقال يا غلام انت اشعر بني عامر زدني » فانشد قولهُ

« طللٌ لخولة في الرسيس قديم » فضرب بيدهِ عَلَى جنبهِ وقال « اذهب فانت اشعر من قيس كلّها »

قيل لما أسلم ترك الشعر وقال ابدلني الله به القرآن. وقصيدتهُ من افضل الشعر الجاهلي وصفاً لحياة البداوة ومشاهد البادية. مطلعها كمطالع سائر القصائد الجاهلية وقوفٌ عَلَى الطلول بعد ذهاب الأحبة ثم يتخلص منهُ الى وصف ناقتهِ ويقابلها

بحمار وحشيّ وهو يعدو بسرعة فوق التلال وقد جدّ به الجوع والظمأ . او ببقرة تركت ولدها فافترسته السباع في ليلة شديدة المطر فهبت صباحاً وأخذت تفتش عنه وبقيت سبع ليالٍ علَى هذه الحال تعدو من هنا الى هناك في طلبه ثم تسمع وطء اقدام الصيادين فتهرب من امامهم فيطلق الصيادون عليها الكلاب . حينئذٍ ترتدّ علَى الكلاب وتطعنها بقرنيها الحادَّين ثم يرجع الى مخاطبة فتاتهِ والى ذكر اعمالهِ ووقائع قومهِ ويختم الكلام بمدح عشيرته

نخبة من معلقة لبيد

وهي ثمانية وثمانون بيتاً من البحر الكامل

عفَتِ الديار محلُّها فمقامها ... بمِنًا تأبّدَ غولُها فرجامُها(١)

دِمنٌ تجرَّم بعد عهدِ انيسها ... حِججٌ خلون حلالها وحرامُها(٢)

رُزِقت مرابيع النجوم وصابها

وَدْقُ الرواعد جَوْدها فرهامُها(٣)

---

(١) عفا . اي امّحى — منا اسم مكان — تأبد اي توحش — الغَول والرجام جبلان — ومعنى البيت امحت الديار وخلت هذه الاماكن من آثار السكان (٢) تجرَّم تقطَّع — الحجج . السنوات اي مرّ علَى هذه الدار سنوات عديدة (٣) مرابيع النجوم . اي الانواء الربيعية الودق . المطر — الجود والرهام الكثير والقليل

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها
زُبُرٌ تُجِدُّ متونها اقلامُها[1]
فوقفتُ اسألها وكيف سؤالنا صُمّاً خوالدَ ما يبين كلامُها
بل ما تذكّرُ من نوارَ وقد نأت
وتقطّعت اسبابها ورمامُها[2]
فاقطع لُبانة من تعرَّض وصلُهُ ولشرُّ واصل خُلّةٍ صرّامُها[3]
واُحبُ المجاملَ بالجزيلِ وصَرمُهُ
باقٍ اذا ظلعت وزاغ قوامها[4]
ثم يصف ناقتهُ كما ذكرنا سابقاً ويتخلص من ذلك الى الفخر
فبتلكَ اذ رقص اللوامع بالضحى
واُجتاب أرديـة السراب إكامُها[5]
أَقضي اللُّبانةَ لا أُفرّط ريبةً أو أن يلوم بحاجةٍ لوّامُها

---

(١) اي وكشفت السيول عن اطلال الدار فأظهرتها بعد ستر التراب لها فكأن السيول اقلام تجدد الكتابة على الطلول (٢) نوار اسم امرأة. الاسباب والرمام اي الحبال القويـة والضعيفة . ويريد هنا روابط محبتها (٣) فاقطع حاجتك ممن كان وصلهُ معرّضاً للزوال فانّ شرّ الاحباب من يقطع محبتهُ عنك (٤) اي اعط من جاملك ودادك وكن مستعداً ان تقطعهُ اذا قطع مجاملتهُ (٥) اللوامع اي اشعة الشمس. ومعنى الشطر الثاني — ولبست الاكام أردية السرابِ

أَوَلَمْ تكن تدري نوارُ بأنني وصَّال عقد حبائلٍ جذَّامُها (١)
إنَّـا اذا التقت المجامع لم يزل منا لِزازُ عظيمةٍ جشَّامُها (٢)
من معشرٍ سنَّت لهم آباؤُهم ولكل قومٍ سُنَّـةٌ وإمامُها
لا يَطبعونَ ولا يبورُ فَعالُهم بل لا تميل مع الهوى احلامُها (٣)
فاقنع بما قسم المليك فإنمـا قسمَ الخلائق بيننا علَّامُها
واذا الامانة قسِّمت في معشرٍ اوفى بأوفرِ حظِّنا قسَّامُها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكُهُ فسما اليهِ كهلُها وغلامُها (٤)
فهمُ السُّعـاةُ اذا العشيرةُ أُفظِعَتْ
وهمْ فوارِسُها وهمْ حكَّامُهـا (٥)

اسئلة

(١) بماذا اشتهر لَبيد · صف معلقته
(٢) ما معنى الابيات الآتية
فاقطع لبانة مَن تعرَّض وصلهُ الخ
إنّا اذا التقت المجامع لم يزل الخ
واذا الامانة قسّمت في معشر الخ

---

(١) الجذَّام · القطَّاع (٢) لزاز عظيمة · اي قرين الحوادث العظيمة — الجشَّام · من يخوض الاخطار غير هيَّاب (٣) يطبعون · تتدنس اعراضهم — الاحلام · العقول (٤) رفيع السمك · عالي السقف (٥) اي اذا اصاب العشيرة حادث فظيع فهم الساعون الى دفعهِ

النابغة الذُّبيانيُّ

توفي سنة ٦٠٤ م

ولئن لم يذكر النابغة مع اصحاب المعلقات السبع المارّ ذكرها فهو باجماع الآراء من الشعراء الثلاثة المقدَّمين. وقد نبغ في بَلاطي الحيرة والشام واشهر ممدوحيهِ النعمان بن المنذر ملك الحيرة لكن النعمان انقلب عليه حيناً لوشاية بعض اعدائهِ بهِ فاضطرَّ النابغة ان يهرب الى الشام ويمدح الغساسنة وبقي هناك حتى رضي عليهِ اميره فانقطع النابغة اليه وجمع من عطاياهُ ثروة طائلة

ومما يدلك عَلَى منزلة النابغة في الشعر انهم كانوا يضربون لهُ قبَّةً في سوق عكاظ ويأتي الشعراء فيتناشدون امامهُ ليحكم في ايِّهم افضل. والشائع انهُ كان مسيحيًّا عَلَى ان ذلك يحتاج الى اثبات. اما شعره فجزل متين ونَفَسهُ الشعري عالٍ وكان مع نبوغه الشعري يُقوي اي يأتي في قصيدة واحدة بقوافٍ مختلفة الرويِّ او الحركة كقولهِ

سقط النصيفُ ولم تُرِد اسقاطهُ فتناولتــهُ واتَّقتنا باليــدِ
بمُخضَّبٍ رَخصٍ كأنَّ بنانَهُ عَنَمٌ يكادُ من اللطافة يعقدُ

وليس النابغة الوحيد في ذلك بين الشعراء الاقدمين فقد

كان غيرهُ من كبار الشعراء يرتكب هذا الخطأ احياناً وهو غير مغتفر في الشعر وهاك مثالاً من شعرهِ · قال من قصيدة يمدح عمرو بن الحارث ملك غسان

كليني لهمٍ يا أُميمةُ ناصبِ
وليلٍ أُقاسيهِ بطيء الكواكبِ (١)

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ
وليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ (٢)

وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همّهِ
تضاعفَ فيهِ الهمُّ من كلِّ جانبِ (٣)

عليَّ لعمروٍ نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ (٤)

ومنها في مدح بني غسّان

اذا ماغزَوا بالجيش حلّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
جوانحَ قد أيقنَّ أنَّ قبيلهُ اذاما التقى الجمعان اولُ غالبِ

---

(١) أُميمة اسم امرأة — ناصب اي متعب · ليل بطيء الكواكب اي طويل (٢) اراد بالذي يرعى النجوم الصبح (٣) اراح اي ارجع — عازب · غائب (٤) اي عليَّ لعمرو نعمة بعد نعمة عليَّ لوالدهِ وانَّ هذه النعم لا يكدرها مَنٌّ او اذى

لهن عليهم عادة قد عرفنها
اذا عرض الخطيّ فوق الكواثب (١)

فهم يتساقون المنية بينهم بأيديهم بيض رقاق المضارب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تُوورثن من أزمان يوم حليمة
الى اليوم قد جُرّبن كل التجارب
تقدُّ السلوقيّ المضاعف نسجهُ وتوقد بالصفّاح نار الحُباحب (٢)
لهم شيمة لم يُعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عوازب (٣)
مجلّتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب
ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده
ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب (٤)
حبوتُ بها غسّان اذ كنتُ لاحقاً
بقومي اذ اعيت عليّ مذاهبي (٥)

---

(١) الخطي اي الرماح — الكواثب ما كان امام قربوس الفرس
(٢) السلوقيّ اي الدرع — الصُفاح الحجارة العراض — الحباحب حشرة تطير في الليل وفي مؤخرها مادة تضيء كالنار ويسميها العامة سراج الليل (٣) الاحلام غير عوازب · اي عقولهم حاضرة دائماً
(٤) ضربة لازب اي امر لا بدّ منهُ (٥) الهاء في بها ترجع الى القصيدة — حبا اي اعطى — اعيت عليّ المذاهب اي ضاقت بي السبل

الاعشى

توفي سنة ٦٢٩ م

وممّن يعدّ من اصحاب المعلقات ايضاً ميمون بن قيس المعروف بالاعشى. وكان اعمى يتجول من مكان الى مكان ينشد اشعارهُ ويتكسبُ بها ولذلك سمّوهُ صنّاجة العرب. وهو مشهور بوصف الخمر وكان لهُ نفوذ كبير بين القبائل شأن كل شاعر كبير في ذلك الزمان. ومما يروى من ذلك أنهُ كان ذاهباً الى سوق عكاظ فمرّ على رجل خامل الذكر يقال لهُ المحلّق وكان له عدّة بنات لم يتزوجنَ لخمول ابيهنّ وفقرهِ. فاكرم الرجل وفادة الاعشى ولم يكن لهُ غير ناقةٍ فذبحها لضيفهِ وقامت بناتهُ على خدمتهِ ثم ان الرجل شكا للاعشى حالهُ وعدم اقبال العرب عَلَى بناتهِ فوعدهُ خيراً. وجاء الاعشى الى عكاظ فانشد قصيدة عامرة في مدح المحلّق فطار اسمهُ بعد خمولهِ ولم يمضِ عليهِ حولٌ حتى زُوّجت كل بناتهِ

وقد ادرك الاعشى نبي الاسلام فوفد اليهِ ومدحهُ بقصيدة شائقة. فلما بلغ خبرهُ قُرَيش (وكانوا في حرب مع النبي) رصدوهُ عَلَى الطريق وقالوا هذا صناجة العرب ما مدح احداً

قطّ الاّ رفع قدرهُ فلما ورد عليهم قالوا لهُ اين اردت يا ابا نصير قال اردت صاحبكم هذا لِأُسلم فقال لهُ ابو سفيان (سيد قريش) هل لك في خيرٍ مما هممتَ بهِ. قال وما هو. قال نحن الآن في هدنة فتأخذ مئة من الابل وترجع الى بلدك سنتَك هذهِ وتنتظر ما يصير اليهِ امرنا. فقال ما اكرهُ ذلك. فقال ابو سفيان يا معشر قريش هذا الاعشى واللهِ لئن اتى محمداً واتّبعهُ ليُضرمنّ عليكم نيران العرب بشعرهِ فاجمعوا لهُ مئة من الابل ففعلوا فاخذها وانطلق الى بلدهِ. فلما كان في بعض الطريق رمى بهِ بعيرهُ فمات[1]. امـا معلّقتهُ فبعضهم يقول هي التي مطلعها «ودّع هُرَيرة ان الركبَ مرتحل». وبعضهم يقول بل مطلعها «ما وقوف الكبير بالاطلال» وهاك بعضاً من قصيدتهِ في مدح النبي قال —

أَلم تغتمض عيناكَ ليلةَ أَرمدا
وعادكَ مـا عادَ السليمَ المُسهّدا[2]

ولكن ارـــى الدهر الذي هو خائنٌ
اذا أَصلحتَ كفّـايَ عادَ فأَفسدا

---

(١) الاغاني (٢) الارمد — المصاب بالرمد — السليم الذي لدغتهُ الافعى. عاد اي زار او انتاب

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ فللهِ هذا الدهرُ كيفَ تردّدا
وما زلتُ ابغي المال مذ أنا يافعٌ
وليداً وكهلاً حينَ شبتُ وأمردا
وأبتذلُ العيس المراقيل تغتلي
مسافةَ ما بين النُجيرِ وصرخدا (١)
ألا ايها ذا السائلي اين يمّمتْ فانّ لها في اهل يثربَ موعدا (٢)
فآليتُ لا ارثي لها من كلالةٍ ولا من حفىً حتى تزورَ محمّدا (٣)
نبيٌّ يرى ما لا ترَونَ وذكرُهُ اغار لعمري في البلادِ وأنجدا (٤)
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ
تُراحي وتَلقَي من فواضلهِ يدا
لهُ صدَقاتٌ ما تغبُّ ونائلٌ وليس عطاءُ اليوم يمنعهُ غدا (٥)
اذا انتَ لم ترحلْ بزادٍ من التقى
ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوّدا

---

(١) العيس المراقيل اي النياق المسرعة — اغتلى اي اسرع — النجير وصرخد موضعان (٢) يمّمت. قصدت. يثرب مدينة الرسول (٣) و (٤) كلالة تعب. اغار وأنجد اي هبط الغور وهو المكان المخفض. ورقي النجود او الجبال ويراد به هنا سار شرقاً وغرباً (٥) تغبّ اي تأتي يوماً وتنقطع يوماً — النائل. العطاء

ندمتَ على ان لا تكونَ كمثلهِ
فترصِدَ للأمرِ الذي كان أرصدا (١)

سائر شعراء الجاهلية

لم ينفرد الشعراء الذين مرّ ذكرهم باشعار الجاهلية بل هنالك من شعراء ذلك العصر عدد كبير يضيق المقام هنا حتى عن ذكرهم. ومنهم مَن يُعدّ من اصحاب المعلقات كعَبيد بن الابرص او من طبقتهم كأُميّة بن الصلت شاعر النعمان فاذا اراد احد ان يراجع اخبارهم وجدها في المطوّلات الادبية كالاغاني وجمهرة اشعار العرب والحماسة والعقد الفريد وابن الاثير وكامل المبرّد وغيرها من كتب الادب

اسئلة

(١) صف النابغة وصف الاعشى واذكر ما تعرفهُ من اخبارهما
(٢) اختر خمسة ابيات لكلٍ منهما وانثرها

---

(١) ارصد للأمر اي أعدَّهُ

الخَطابة في الجاهلية

ذكرنا سابقاً زبدة ما يقال في اشعار الجاهلية وشعرائها المبرّزين. بقي علينا كلمة في النوع الثاني من الآداب العربية نعني الخطابة وهي لا تقلّ اهمية عن الشعر. واكثر الخطباء القدماء كانوا شعراء من طبقات متفاوتة لكن الخطابة غلبت عليهم. ولحسن الحظ نقل لنا الرواة بعضاً من خطبهم وهي عادةً قطع وجيزة من الوعظ تُرسل سجعاً او ما يقاربهُ فاذا تحرّكت بها الشفاهُ شعر القارئ بحسن رصفها ومتانة تركيبها. ومما يذكر هنا ان الخطب القديمة كانت سهلة العبارة قلّما يرى المرء فيها شيئاً من وحشيّ الكلام ومُستغربهِ فهي من هذا القبيل تفضل الشعر القديم وربما وجدها الطلبة اليوم اوضح من الخطب والرسائل التي تأخرت عنها قرنين او ثلاثة

وكان الخطيب كالشاعر زعيم القبيلة وممثّلها في الاسواق الكبرى او سفيرها الى الملوك والامراء ولقد اشتهر في الخطابة عدد من اهل الجاهلية نذكر منهم اثنين كمثال للطالب

—« قُسّ بن ساعدة الايادي »—

أشهر الخطباء الاقدمين وارفعهم قدراً . وهو من نجران

كان اسقفاً مسيحياً ويضرب المثل بفصاحته «وكان يفد علَى قيصر الرومان زائراً فيكرمهُ ويعظّمهُ ولكنهُ كان زاهداً في الدنيا» والمشهور عنهُ انهُ اوَّل من علا علَى منبر وأوَّل من قال «أما بعد». واليك بعض خطبتهِ المشهورة. ويقال ان النبي محمد ادركهُ وسمعهُ يخطبها في سوق عكاظ

ايها الناس اسمعوا وعوا. واذا سمعتم شيئاً فانتفعوا. إنهُ من عاش مات ومن مات فات وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ. إنَّ في السماء لَخبرا وإنَّ في الارضِ لَعِبَرا. ليلٌ داجٍ وسماءٌ ذات ابراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج. مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون. أرضُوا المُقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا. تبًّا لاربابِ الغفلةِ والأُمم الخاليةِ والقرون الماضية. يا معشر إياد اين الآباء والاجداد. وأين المريض والعوَّاد. وأين الفراعنة الشداد أين مَن بنى وشيَّد وزخرف ونجَّد اين المال والولد. اين مَن بغى وطغى وجمع فأَوعى وقال انا ربكم الأعلى. ألم يكونوا اكثر منكم اموالاً واطولَ منكم آجالاً طحنهم الثرى بكلكله (١) ومزَّقهم بطولهِ فتلك عظامهم بالية. وبيوتهم خاوية. عمرتها (٢) الذئاب العاوية. كلاَّ بل هو الله الواحدُ المعبود. ليس بوالدٍ ولا مولود

(١) الكلكل. الصدر (٢) سكنتها

في الذاهبين الاوّلـيـنَ من القرون لنا بصائرْ
لمـا رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوهـا يمضي الاصاغر والاكابرْ
لا يرجعُ الماضي اليَّ ولا من الباقين غابرْ
أيقنت أني لا محالةَ م حيثُ صار القوم صائرْ

—« سحبان وائل »—

وهو من الذين يُضرَب بهم المثل في الخطابة فيقال « اخطَب من سحبان وائل » وكان عَلَى ما يظهر من وصف الواصفين لهُ فصيحاً طلق اللسان من اقوالهِ الخطبة الآتية :

ان الدنيا دار بلاغٍ والآخرة دار قرار . ايها الناس فخذوا من دار ممرّكم . لدار مقرّكم ولا تهتكوا استاركم عند مَن لا يخفى عليهِ اسراركم . واخرجوا الى الدنيا قلوبكم . قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها حَيِيتم . ولغيرها خلقتم إنَّ الرجلَ اذا هلك قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة ما قدَّم ؟

ولم تتغير الخطابة في صدر الاسلام عمّا كانت عليهِ في الجاهلية عَلَى ان المسلمين اعتنوا اعتناءً خاصاً بها لحاجتهم الى الخطباء ولِما كان لها من التأثير في الجهاد العظيم الذي خاضوا غمارهُ وسنذكر شيئاً من خطبهم في غير هذا الفصل

نبيُّ الاسلام

يُرجع النسّابون نسب النبي العربي محمد بن عبدالله بن عبد المطّلب من بني هاشم من قبيلة قُرَيش الى اسماعيل بن ابراهيم ويرجحون انهُ وُلد في السنة ٥٧١ م وهي السنة المعروفة بعام الفيل. مات والده وأُمهُ حامل بهِ فعُهد بتربيتهِ الى جدّهِ عبد المطّلب ثم الى عمّهِ ابي طالب والد الإمام علي. وكان اهل مكة تجّاراً لهم رحلات تجارية كل سنة الى الشام والى اليمن وغيرها وكان فيهم سيّدة اسمها خديجة فطلبت من محمد ان يتعهد تجارتها فرحل الى الشام وعاد غانماً فأحبتهُ خديجة وطلبت منهُ ان يتزوّجها ففعل وهو في الخامسة والعشرين وخديجة في الاربعين من عمرها

ولما صار لهُ اربعون سنة من العمر شعر بدافع داخلي يدفعهُ الى اصلاح احوال العرب فجاهر بعدائهِ لاصنامهم وصار يخطب في الناس مبيّناً لهم ضلالهم لكنهُ لم يلقَ منهم في اوّل الامر غير الامتهان. واوّل من آمن بهِ امراتهُ خديجة وابن عمهِ عليّ بن ابي طالب ثم اسلم بعض من اصحابهِ وأَخذ امرهُ يظهر رويداً فاستاء لذلك اهل مكة ورأوا في دعوتهِ كساداً لتجارتهم فعزموا

عَلَى الايقاع بهِ وبأَصحابهِ . ولما رأى منهم ذلك هجر مكة هو وبعض اصحابهِ الى المدينة وذلك سنة ٦٢٢ م وهي السنة التي يبدأُ منها تاريخ الاسلام الهجري فلاقاهُ اهل المدينة بالاكرام ونصروهُ فسُمُّوا الانصار كما سُمّي من هاجر معهُ المهاجرين . ولما اشتدَّ ساعدهُ في المدينة عزم عَلَى محاربة اهل مكة فجهَّز جيشاً صغيراً من انصارهِ وغزا قرَيشاً غزواتٍ عديدة أَوَّلها غزوة بَدر التي انتصر فيها المسلمون عَلَى اهل مكة انتصاراً باهراً . ومع ان المسلمين خَذِلوا بعد ذلك في معركة أُحُد فان النصر كان حليفهم في الوقائع الأُخرى فعظمت هيبتهم واشتدت شوكتهم ثم غزا محمد مكة ففتحها عنوةً وحوَّل الكعبة من بيت اصنام الى مسجد لله يحجُّ اليهِ المسلمون من اقطار المعمور. وبفتح مكة تمت لهُ الغلبة عَلَى العرب فجاۤؤوا اليهِ من كل الجهات ودخلوا في طاعته

وفي اثناء ذلك كان يملي القرآن عَلَى اتباعهِ . فالآيات التي املاها في المدينة سميت الآيات المدنيَّة والتي في مكة سميت الآيات المكيَّة والكتاب مقسوم الى سُوَر تقابل الاسفار في التوراة والانجيل

ولم يكن القرآن في اوَّل الامر محفوظاً في كتاب واحد بل كان يرويهِ الحفَظة الذين سمعوهُ من النبي فأمر ابو بكر

بجمع القرآن من افواهِ الناس . ولما كانت خلافة عثمان رأى اختلاف الناس في القراآت [١] وخشي ان يحدث تغيير في الآيات فأمر بجمع القرآن في كتاب واحد ورُتّبت السور فيهِ بحسب طولها الطولى في الاوّل ثمَّ التي تليها وهكذا الى اقصرها

وفي السنة ٦٣٢م توفي النبي وكان قد كاتب الملوك يدعوهم الى الاسلام واليك صورة الكتاب الذي ارسلهُ الى المقوقس سيِّد القبط في مصر وهذا نصهُ

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط :

سلام عَلَى من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فأسلِم تسلَم يؤتك الله اجرك مرّتين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الاّ الله ولا نُشرك بهِ شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون [٢]

عَلَى انَّ الاجل لم يمهلهُ ان يفتح الامصار بنفسهِ فقام بالامر بعدهُ خلفاؤهُ وبجيوشهم القليلة تمكنوا من قهر مملكتي الروم والفرس ونشر دعوتهم في انحاء المعمور . وقوام هذهِ الدعوة

(١) ابو الفداء (٢) تاريخ دوَل الاسلام

الايمان بالله الاحد و برسوله والقيام بفروض الاسلام ونوافله ٠ ومن فوائدها انها وحدّت كلمة العرب وحوّلت افكارهم الى العصبية الدينية الواحدة بدل عصبياتهم الجنسية المتفرّقة

اسئلة

(١) من أية قبيلة صاحب الشريعة الاسلامية ومن هو والده وجدّه

(٢) من هي امرأة محمد الاولى

(٣) ماذا تعرف عن اهل مكة قبل الاسلام

(٤) ما سبب الهجرة وأية سنة حدثت

(٥) كيف رجع الى مكة

(٦) ما هو القرآن ٠ متى جُمع في كتاب واحد

(٧) ماذا تعني بالدعوة الاسلامية والعصبية الدينية

الخلفاء الراشدون

نعني بهم الخلفاء الاربعة الذين بُويع لهم بعد موت النبي وهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفَّان وعليُّ بن ابي طالب. وهم يمثّلون الحكم الشُّوروي في الاسلام لانهم كانوا ينتخبون انتخاباً وكلّهم من صحابة الرسول المقرَّبين اليهِ. وقد ماتوا كلهم قتلاً إلّا أبا بكر فانّ في موتهِ اختلافاً فبعضهم يزعم انهُ قتل مسموماً وبعضهم يقول بل مات عَلَى اثر مرض اعتراهُ. اما عاصمتهم فكانت مكة في الحجاز واليك لمعة مختصرة من سيرة كلٍ منهم

ابو بكر الصديق

خلافتهُ من ٦٣٢ م الى ٦٣٤ م

مات محمد ولم يُسمِّ خليفتهُ فاجتمع كبراء المسلمين وبايعوا أبا بكر وكان من سادات هاشم. ولما ذاع خبر وفاة النبي ارتد خلقٌ كثير من العرب وتركوا الاسلام فسيَّر ابو بكر خالد بن الوليد المدعوَّ سيف الاسلام الى اهل الردَّة فقهرهم واخمد الفتنة وفي ايامهِ ظهر بعض الذين ادَّعوا النبوءة مثل مسيلمة الكذاب

والاسود العَنسيّ فقهرهما ابو بكرٍ وأراح الاسلام منهما . ثمَّ صرف عنايتهُ الى فتح الامصار فوجه خالد بن الوليد الى العراق ففتح الحيرة وبعث أبا عُبَيدة الى الشام ومعهُ عمرو بن العاص ثم امر خالد بن الوليد بالسير اليهِ لمحاربة الروم وجعلهُ امير الجيش الاوَّل . فانتصر العرب عَلَى الروم ولا سيما في معركة اليرموك التي أبلى العرب فيها بلاءً حسناً

اخلاقه — اشتهر ابو بكر بالزهد والتواضع والعفة وهو الذي وطَّد اركان الاسلام بعد ما كادت تتزعزع . قيل لمَّا حضرتهُ الوفاة قال لعائشة ابنتهِ «منذ وُلّينا امر المسلمين لم نأْكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيئِهم الاَّ هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة فاذا متُّ فابعثي بالجميع الى عمر»

عمر بن الخطَّاب

خلافتهُ من سنة ٦٣٤ م الى ٦٤٤ م

ويلقّبونهُ بالفاروق قام بالامر بعد ابي بكر ففتح الفتوح العظيمة وهو اوَّل من سُمي امير المؤْمنين . وفي خلافتهِ تمَّ فتح العراق وكان ابو عُبيدة امير جيشه عَلَى الشام ففتح دمشق

والقدس. وفي ايامهِ فتح عمرو بن العاص مصر وطرابلس الغرب وبرقة فاتَّسع سلطان عمر وهابتهُ الملوك

اخلاقه — اشتهر بالشدة والعدل والقناعة باليسير وكان لا يطمع الشريف في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدلهِ قال ذات يوم وهو عَلَى منبر الخطابة

«ايها الناس من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمهُ» فقام رجل في وسط الجماعة وقال «والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناهُ بحدّ السيوف» فقال عمر «احمد الله الذي جعل في هذهِ الامة العربية من يقوّم اعوجاج عمر بسيفهِ». ومما يدلك عَلَى سهرهِ عَلَى الرعية انهُ جاء الى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلّي في بيتهِ ليلاً فقال لهُ عبد الرحمن ما جاء بكَ يا امير المؤمنين في هذهِ الساعة فقال ان رفقةً نزلوا في ناحية السوق خشيت عليهم سرّاق المدينة فانطلق لنحرسهم فأتيا السوق وقعدا عَلَى نشز من الارض يتحدَّثان ويحرسانهم (١)

وفي السنة ٦٤٤ قتل الخليفة عمر طعناً قتلهُ غلام اسمهُ لؤلوءة ابن فيروز فلما أيقن بحلول الاجل استدعى اهل الشُورى وهم عليٌّ وعثمان وسعد بن ابي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف والزُبَير

---

(١) ابو الفداء

وطلحة واوصاهم ان يختاروا رجلاً يولُّونهُ امر المسلمين وأوصى ان يكون معهم ابنهُ عبدالله وليس لهُ من الخلافة شيء[1] ففعلوا كما سيجيء

وعمر اوّل من دوَّن الدواوين فانشأ الوظائف للكتابة والمالية في الدولة والأرجح أنهُ اخذ ذلك عن الفرس

اسئلة

(١) من تعني بالخلفاء الراشدين

(٢) صف أبا بكر وعمر

(٣) ماذا حدث على يد كل منهما من الفتوح

(٤) مَن القادة العظام في اول الفتوح ومن هم اصحاب الشورى

عثمان بن عفان

من سنة ٦٤٤ م — ٦٥٦ م

اجتمع اصحاب الشُورى و بعد جدال عنيف بايعوا عثمان بن عفان صهر الرسول

---

(١) العقد الفريد

وفي ايامهِ فتح معاوية قبرص واتّسعت فتوح العرب حتى دوَّخوا كلَّ بلاد فارس الى الهند· عَلَى انَّ بعضهم اتَّهم عثمانًا بميلهِ الى انسبائهِ الامويين وتسليمهم ازمَّة الاحكام فلم يرُق ذلك لاعين مناظري البيت الاموي وما زال غيظهم يزداد حتى تألبوا عليهِ من مصر والكوفة والبصرة وغيرها فحصروهُ في دارهِ ثم قتلوهُ والقرآن بيدهِ وهو فوق الثمانين من عمرهِ · وبقتل عثمان ابتدأ الشقاق بين العرب وكان ذلك كما سيجيء من اهمّ الاسباب التي قضت عَلَى مجدهم

اخلاقه — كان عثمان تقيًا وَرِعًا شفوقًا عَلَى أنهُ لم يكن كعُمَر في البأس والشدّة فكان لأعوانهِ تأثير كبير عليهِ وقد رأيت نتيجة ذلك وما كان من نقمة العرب حتى قتلوهُ

عليٌّ بن ابي طالب

من سنة ٦٥٦ م — ٦٦١ م

لما قُتل عثمان اجتمع اصحاب الامر وفي مقدَّمتهم طلحة وبايعوا عليًّا وتخلَّف عن مبايعتهِ بنو أُميَّة وغيرهم من اصحاب النفوذ· فاضطرَّ عليٌّ الى مقاتلتهم وشغَلَه ذلك عن

الاهتمام بالفتوح . وكان من جملة الفاتنين عليهِ ايضاً عائشة وطلحة والزُبير فالتجأُوا الى البصرة فقاتلهم عليٌّ وانتصر عليهم في واقعة الجمل المشهورة التي قتل فيها طلحة والزُبير فاستتبَّ الامر في البصرة لعليّ

قلنا انَّ بني أُمية لم يُبايعوا عليًّا وكان معاوية والي الشام قد حصل عَلَى قميص عثمان الملطَّخ بالدم فجعل يعلّق القميص عَلَى المنبر ويخطب في الناس انَّ قاتل عثمان انما هو عليٌّ ويحضهم عَلَى الانتقام فبايعهُ اهل الشام اميراً عليهم ولكنهُ عرف ضعف أتباعهِ بالنسبة الى اتباع عليٍ فصار يستنبط الحيل للايقاع باصحاب الخليفة واستعمل المال في تفريقهم ثمَّ انضمَّ اليهِ عمرو بن العاص فاشتدَّ ساعد معاوية بهِ

واقعة صِفين — في هذهِ البلدة عَلَى الفرات التقى جيش علي بجيش معاوية فدارت رحى الحرب بينهما اياماً ولما رأى معاوية الوهن في جيشهِ استشار بن العاص فاشار عليهِ برفع المصاحف عَلَى رؤوس الرماح طلباً للهدنة فعلم عليٌّ ان ذلك حيلة من معاوية وأَبى إلَّا متابعة الحرب لكنَّ جيشه انتقض عليهِ وقالوا لا نقبل الاَّ الهدنة وتحكيم كتاب الله . فاختار عليٌّ أبا موسى الأشعريَّ من قِبلِهِ واختار معاوية ابن العاص فاتفقا

سرًا عَلَى خلع معاوية وعليّ وان يعلنا ذلك للجيش . فوقف الاشعري اوّلاً وخلع علياً وهو يحسب ان ابن العاص سيفعل فعله ويخلع صاحبهُ . لكن عمراً التفت الى الناس وقال ان هذا خلع صاحبه وأنا اخلعهُ ايضاً وأُثبت صاحبي فلما رأى عليّ ذلك امر بمتابعة القتال وكان قد خرج عليهِ قسم من جيشهِ لم يقبلوا بالتحكيم وهم الخوارج فشغل بهم ولم يستطع التغلب عَلَى معاوية

وفي هذهِ الاثناء اخضع معاوية مصر والحجاز واليمن . ثم اجتمع ثلاثة من الخوارج واتفقوا عَلَى قتل عليّ ومعاوية وابن العاص . فنجح قاتل علي وكان مقتلهُ في ليلة السابع عشر من رمضان من السنة ٦٦١ م وفشل اللذان حاولا قتل معاوية وعمرو بن العاص

فلما قُتل علي بُويع بالخلافة لابنهِ الحسن وكان يكره الحرب وقد رأى انهُ لا قِبَلَ لهُ بمحاربة معاوية فتنازل لهُ عن الخلافة واصبح معاوية خليفة المسلمين

اخلاق علي — كان من الزهد والتقوى عَلَى جانب عظيم وكان ايضاً من الفرسان المعدودين عَلَى انهُ لم يبلغ مبلغ مُعاوية في الدهاء والسياسة . وهو شاعر فصيح وخطيب

مصقع وله المنزلة الكبرى عند اهل الشيعة وبعض المتطرفين منهم يؤلهونهُ

اسئلة

(١) صف اخلاق عثمان وسبب نقمة العرب عليهِ

(٢) مَن انسباؤهُ وما القرابة التي بينهُ وبين الرسول

(٣) صف معركة الجمل ومعركة صفين واذكر الاسباب التي آلت الى انتصار معاوية على بيت علي

(٤) صف اخلاق علي

الآداب العربية

في ايام الراشدين

لما انتشر العرب وفتحوا الامصار العديدة حملوا لغتهم الى البلاد التي فتحوها فتغلَّبت عَلَى اكثر اللغات التي احتكَّت بها

ولاختلاط العرب بالعجم بدأ الفساد يتسرَّب الى العربية الفصحى فوضع ابو الاسود الدؤلي باشارة الامام علي اصول النحو وتبعهُ في ذلك نخبة من اللغويين

اما القرآن فيعدُّهُ العرب مثال الفصاحة وقد كُتب اولاً بالخط الكوفي القديم وكانت الكتابة عَلَى الرقوق اذ لم يكن الورق معروفاً لذلك العهد. وقد مرَّ الكلام عليهِ

الشعر — يعرف الشعراء الذين وُلدوا في الجاهلية وادركوا الاسلام بالشعراء المخضرمين وقد اشتهر من هؤلاء جماعة منهم لَبيد صاحب المعلَّقة وحسَّان بن ثابت شاعر النبي والحُطيئة وكعب بن زُهير صاحب قصيدة البردة المارّ ذكرها. ذكروا انهُ لما ملك معاوية اشترى البردة من آل كعب باربعين الف درهم ثم توارثها الخلفاء بعدهُ وكانوا يطرحونها عَلَى اكتافهم حتى اخذها التتر

ومن مشاهير هذا العصر الخنساء وهي مشهورة بالرثاء ويعدّها العلماء سيدة شواعر العرب واكثر رثائها في أخ لها اسمهُ صخر. ومن جيد شعرها فيهِ قولها —

يؤرّقني التذكر حين أُمسي ... فأُصبح قد بُليتُ بفرط نُكسِ (١)
عَلَى صخرٍ وأيُّ فتى كصخرٍ ... ليوم كريهة وطعان حِلسِ (٢)
فلم أرَ مثلهُ رزءاً لجنٍّ ... ولم أرَ مثلهُ رزءاً لإنسِ
أشدَّ عَلَى صروف الدهر أَيدا ... وافصل في الخطوب بغير لَبسِ (٣)
وضيفٍ طارقٍ او مستجيرٍ ... يروَّع قلبهُ من كلِّ جرسِ (٤)
فاكرمهُ وآمنهُ فامسى ... خليّا بالهُ من كلِّ بؤسِ
يذكّرني طلوع الشمس صخراً ... واذكرهُ لكل غروب شمسِ
ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... عَلَى اخوانهم لقتلتُ نفسي
ولكنْ لا ازال ارى عجولاً (٥) ... وباكيةً تنوحُ ليوم نحسِ
اراها والهاً تبكي اخاها ... عشيةَ رُزئِهِ او غبَّ امسِ
وما يبكونَ مثل اخي ولكنْ ... اعزّي النفس عنهُ بالتأسّي

---

(١) عود المرض او السقوط ثانية (٢) الحلس الكبير من الناس ويروى خلس اي مخالسة (٣) الأيد الصلابة والقوّة — اللبس الاختلاف او الطيش (٤) الجرس الصوت الخفيّ (٥) العجول الثكلى او الواله من النساء

فـلا واللهُ لا انساكَ حتى أُفارق مهجتي ويشقَّ رمسي
فقد ودَّعتُ يوم فراق صخرٍ ابي حسَّانَ لذاتي وأُنسي
فيا لهفي عليهِ ولهفِ أُمّي أَيُصبح في الضريح وفيهِ يمسي

ولما كان الشعراء المخضرمون عند التحقيق داخلين في طبقة الجاهليين اكتفينا بالاشارة اليهم دون اثبات شيء من اقوالهم اجتناباً لِما لا فائدة منهُ في هذا المقام

الخطابة — اما الخطابة في ايام الفتوح فكان لها منزلة عظيمة لاحتياج القادة اليها يومئذٍ في الحضّ علَى القتال والدعوة الى الجهاد وهي انفس من خطب الجاهلية واكثر تضلعاً من روح الخطابة الحقيقية التي اقتضتها حروبهم وانتصاراتهم · واليك مثالاً منها

خطبة الامام علي

يوم اغار الاعداء علَى الانبار (١)

اما بعدُ فانَّ الجهاد بابٌ من ابواب الجنَّة فمن تركهُ ألبسهُ الله ثوب الذلّ وأشملهُ البلاء وألزمهُ الصغار · ألا واني دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وقلتُ لكم اغزوهم قبلَ ان

(١) العقد الفريد

يغزوكم. فوالله ما غُزِيَ قوم قطّ في عُقر دارهم الاّ ذلّوا. فتواكلتم وتخاذلتم وثَقُلَ عليكم قولي فاتخذتموهُ وراءكم ظهريّاً حتى شُنّت عليكم الغارات. هذا اخو عامر قد بلغت خيلهُ الانبار وازال خيلكم فواعجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم وفشلكم عن حقكم. فقُبحاً لكم حين صرتم غرضاً يرمى. يُغارُ عليكم ولا تُغيرون فاذا أمرتكم بالمسير اليهم قلتم حمّارة القيظ أَمهلنا حتى يَنسلخ عنّا الحرّ. واذا امرتكم بالمسير اليهم ضحىً في الشتاء قلتم أَمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القرّ. يا اشباهَ الرجال ولا رجال. ويا أحلام اطفال وددتُ انّ اللهَ اخرجني من بين اظهرِكم وقبضني الى رحمتهِ من بينكم وأني لم اعرفكم. واللهِ حرتُ وَهناً. وورّيتم واللهِ صدري غيظاً. وجرّعتموني الموت انفاساً. وافسدتم عَلَى رأْيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش إنّ ابن ابي طالب شجاع ولكنْ لا علمَ لهُ بالحرب. للهِ ابوهم وهل منهم احد اشدّ لها مِراساً واطول تجربةً مني لقد مارستها وأنا ابن عشرين فها أنا ذا الآن قد نَيَّفت عَلَى الستين. ولكن لا رأْيَ لمن لا يُطاع

البصرة والكوفة

لعبت هاتان المدينتان دوراً مهماً في تاريخ العرب وقد

أُنشئتا حوالي سنة ٦٣٨ م . الأُولى عَلَى شط العرب المتكوّن من اتحاد الفرات والدجلة وهي تبعد نحو مئة ميل عن خليج العجم . والثانية الى الجانب الغربي من الفرات عَلَى مقربة من الحيرة . وكانت كلٌّ منهما في اوَّل الامر مُخيَّماً للجيوش العربية ولكنهما نمتا سريعاً واصبحتا بعد زمن يسير مركزَين عظيمين للتجارة والعلوم العربية . وقد قام فيهما اشهر علماء النحو واللغة وطالما اشتدَّ الخلاف بين البصريين والكوفيين عَلَى مسائل الصرف والاعراب فكان العلماء في سائر الاقطار طائفتين احداهما تتبع البصرة والاخرى تتبع الكوفة وتأخذ برأي علمائها ولا يزال العلماء كذلك الى اليوم . عَلَى ان البصريين أَعرَف باللغة والادب من الكوفيين . والكوفة اليوم اطلال دارسة اما البصرة فلا تزال مدينة زاهية كثيرة الخير ولكنها قد فقدت منزلتها الادبية

الخلافة الأَموية

في الشام

من سنة ٦٦١ م الى ٧٥٠ م

كلمة عامة

بنو أُمَيَّة كبني هاشم بطن من بطون قرَيش تولَّوا الخلافة في الشام ثمَّ في الأَندلُس (اسبانيا) . اما دولتهم في الشام فبقيت نحواً من تسعين سنة كانت الكلمة الاولى فيها للعرب فمنهم امراء الجيش والكتَّاب والحكَّام وسائر ارباب الوظائف الكبرى وكانوا يحسبون غير العرب اتباعاً لهم

اعمالهم — أَهمُّ الفتوح التي حصلت في ايامهم فتح الاندلس عَلَى يد طارق بن زياد وموسى بن نُصَير وفي ايامهم ايضاً افتُتحت الهند وبنيت القيروان ومدينة واسط بين البصرة والكوفة . ومن مبانيهم الجامع الاموي في دمشق وهو نحو ٥٥٠ قدماً طولاً في عرض ١٥٠ ومسجد الصخرة في القدس وهو من اجمل المباني وقد اقيم عَلَى انقاض هيكل سليمان القديم . اما مبانيهم في الاندلس فسيأتي الكلام عليها

ترفهم وبذخهم — عُرف عصر الراشدين بالزهد والبساطة والاقتصاد فلما انتقلت الخلافة الى بني أُمية اخذوا يسلكون مسلكاً مغايراً لمسلك الخلفاء الأُوَل . فابتنوا القصور واقاموا الحرّاس ولبسوا الثياب الفاخرة وركبوا الخيول المطهّمة وكانوا ينفقون الاموال عَلَى انواع الملاهي . ولم يشذّ عنهم الاّ الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي سار في سبيل الراشدين وتحدّاهم في سلوكهم

الآداب العربية في ايامهم — كان الامويون غيورين عَلَى العصبية العربية لذلك اخذوا بناصر اللغة فنشطوا علماءها واجزلوا لادباء العرب العطايا . وفي ايامهم نشأت علوم النحو والصرف والحديث والقرآن . وكان للشعر عندهم منزلة كبيرة لاستعمالهم الشعراء في اغراضهم السياسية فاقبل عليهم الشعراء من كل صوب

عَلَى ان الشعر في العصر الاموي لم يخرج عن مناهج الجاهلية ولذلك قلما ترى آثار التغيُّر فيهِ الاّ في الغزل والتشبيب فان اسباب الحضارة الجديدة وما نتج عنها من القصف والخلاعة دفعت كثيرين من الشعراء الى التفنن في هذا الباب . ومما يلاحظ في هذا العصر ظهور الادب العربي بين غير العرب من

الاسلام ونبوغ طائفة منهم فيهِ وسنذكر ذلك في غير هذا الفصل

اما الخطّ فكان في ايامهم غفلاً من الشكل والنقط فوُضع لهُ في ايام معاوية علامات الاعراب ولما كانت خلافة عبد الملك بن مروان تقدَّم الحجاج الى نصر بن عاصم فوضع لهُ النقط وحسَّنهُ ثم انتقل الخط الى الامصار التي انتشر فيها الاسلام وهناك تنوَّعت اشكالهُ حتى صار الى ما صار اليهِ الآن

الخلفاء الامويون — هم اربعة عشر خليفة اوَّلهم معاوية مؤسس هذهِ الدولة وآخرهم مروان بن محمد وقد وضعنا للطالب في آخر هذا الفصل جدولاً خاصاً باسمائهم وتاريخ خلافتهم اما اشهرهم فخمسة هم معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد ابنهُ وعمر بن عبد العزيز وهِشام بن عبد الملك واليك شيئاً من سيرتهم

معاوية بن ابي سُفيان

من سنة ٦٣٢ م الى ٦٨٠ م

هو مؤسس الدولة الاموية كما ذكرنا وأحد دهاة السياسة يدلُّك عَلى ذلك أنَّهُ تمكَّن من الفوز عَلى آل البيت وهو معروف بالتأني في الامور ومداراة الناس وقد بلغ من إحكام السياسة والدهاء الغاية التي لاتدرك حتى انهُ تمكن من اصطناع عقيل بن

ابي طالب اخي الامام علي فآثرهُ على اخيهِ ونصرهُ [١] وكان يهتمّ بشؤُون الدولة اهتماماً شديداً ويقوم بامور الرعية خير قيام وقد اجمع المؤرّخون على شغفهِ باخبار الملوك والامراء وحرصهِ على قراءتها. وكان لهُ داهيتان يعينانهِ برأيهما في المشاكل وبسيفهما في الحروب هما عمرو بن العاص فاتح مصر وزياد بن ابيهِ اخو معاوية وكان اوّلاً خصمهُ فأرضاهُ معاوية وملك قلبه اما نوادرهُ في الحكم والكرم والصبر على الاذى والمكروه فكثيرة نذكر منهُ الحادثة الاتية

مازح عديّ بن حاتم يوماً يؤنبهُ بصحبتهِ علياً فقال لهُ عديٌّ واللهِ ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا وانّ السيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ولئن ادنيت الينا من الغدر شبراً لندنينّ اليك من الشر باعاً. فقال معاوية هذه كلمات حقٍ فاكتبوها واقبل عليهِ ولاطفهُ وتحادثا [٢]

عبد الملك بن مروان

من سنة ٦٨٥ م الى ٧٠٥ م

رقي هذه الخليفة العرش والشقاق في الدولة ضارب

(١) المسعودي (٢) ابن خلدون

اطنابهُ حتى كاد يُخشى عليها من التمزُّق وكان عبدالله بن الزُبير قد خرج عن طاعة الامويين فبايعتهُ قيس في المدينة فصرف عبد الملك همَّهُ في اوّل الأَمر الى قمع الفتن ومعاقبة الفاتنين اعانه علَى ذلك قائدهُ المشهور الحجاج بن يوسف فاصلح الاحوال وثبَّت دعائم الملك · وقد عُرِف عبد الملك بميلهِ الى الآداب وموَّازرتهِ اربابها وهو اوَّل من ضرب النقود باللغة العرَبية وكانت لغة الدواوين قبلة الرومية والفارسية فبدلها بالعرَبية حتى اصبحت هذهِ اللغة السائدة في الامصار

الوليد بن عبد الملك

من سنة ٧٠٥ م الى ٧١٥ م

اشتهر الوليد بولعهِ بالبناء فهوَ باني المسجد الاموي في الشام وقبَّة الصخرة في القدس وغير ذلك من المباني العظيمة وفي ايامهِ فتحت الأَندلُس والهند فترامت اطراف السلطنة العرَبية من الصين شرقاً الى المحيط الاتلانتيكي غرباً ومن البحر الاسود شمالاً الى صعيد مصر جنوباً

عمر بن عبد العزيز

من سنة ٧١٧ م الى ٧٢٠ م

كان عمر عفيفاً زاهداً فسار في الرعيَّة سير الخلفاء

الراشدين وهو اوّل من قطع السبّ عن عليّ وكان الامويون يَسبُّونهُ من عَلَى المنابر ولم يكن بابهُ مفتوحاً للشعراء او للمغنّين وأهل المجون شأن مَن تقدّمهُ من خلفاء هذهِ الدولة بل انصرف عنهم الى امثال الحسن البصري من العلماء والمتعبّدين واخبارهُ في التقوى كثيرة ومن اقوالهِ « ايها الناس إنهُ لا كتاب بعد القرآن ولا نبيَّ بعد محمَّد ألا واني لست بقاضٍ ولكن منفذّ. ألا واني لست بمبتدع ولكنّي متبَع. ألا لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق » (١)

هشام بن عبد الملك

من سنة ٧٢٤م الى ٧٤٣ م

وهو احد الساسة المقدَّمين وكان حازماً عاقلاً حريصاً عَلَى جمع المال. قال المسعودي:

كان هشام يجمع المال ويعمّر الارض ويستجيد الخيل وقد اصطنع الرجال وقوّى الثغور. وهو باني مدينة الرصافة وفيها مات. وبعد موتهِ إبتدأ حبل بني أُمية يضطرب وما زال كذلك حتى تمزّق ملكهم وورث الخلافة بعدهم بنو عباس

(١) مروج الذهب

جدول الخلفاء الأمويين

في الشام

تاريخ توليهم الخلافة	
سنة	
٦٦١	معاوية بن ابي سفيان
٦٨٠	يزيد (ابنه)
٦٨٣	معاوية بن يزيد
٦٨٤	مروان
٦٨٥	عبد الملك بن مروان
٧٠٥	الوليد بن عبد الملك
٧١٥	سليمان بن عبد الملك
٧١٧	عمر بن عبد العزيز
٧٢٠	يزيد بن عبد الملك
٧٢٤	هشام بن عبد الملك
٧٤٣	الوليد بن يزيد
٧٤٤	يزيد بن الوليد
٧٤٤	ابراهيم بن الوليد
٧٤٤	مروان بن محمد
٧٥٠	انقضاء الدولة الاموية في الشام

آداب العصر الأموي

الشعر — ذكرنا آنفاً خصائص الشعر في العصر الاموي بقي علينا ان نأتي بأمثلة منهُ فنقول — انهُ لما كان للخلفاء الامويين مآرب سياسية في ترويج الشعر واصطناع الشعراء كان الشعر في ايامهم باباً واسعاً للرزق فتغنّى بهِ الخاص والعام وقد ظهر من اربابهِ يومئذٍ جماعة كبيرة اشهرهم اربعة وهم عمر بن ابي ربيعة والاخطل وجرير والفرزدق واليك ترجمتهم وشيئاً من شعرهم

عمر بن ابي ربيعة

توفي سنة ٧١٩م

شاعر قريش وهو ابن تاجر غنيّ من تجار مكة · اشتهر بالغزل والتشبيب وبلغ في ذلك غاية بعيدة وكثير من شعرهِ متهتّك خليع يدلُّ على ولعهِ بالخمر والملاهي · وكانوا يعدُّونهُ أوصف الشعراء لربَّات الجمال · قال من قصيدةٍ: (من الطويل)

ألا قل لهندٍ أحرجي وتأثَّمي ولا تقتليني لا يحلُّ لكم دمي

وحُلّي حبال السحر عن قلب عاشق
حزينٍ ولا تستحقبي قتل مُسلم (١)
فوالله ما أحببتُ حبكِ أيِّماً
ولا ذات بعلٍ يا هنيدةُ فاعلمي (٢)
فصدّت وقالت كاذبٌ وتجهّمت
فنفسي فداء العارضِ المتجهّمِ (٣)
فقالت وصدّت ما تزال متيّماً
صبوباً بنجدٍ ذا هوى متقسّمِ
ولما التقينا بالثنيّةِ أومضت
مخافةَ عين الكاشح المتنمّمِ (٤)
اشارت بطرف العين خشيةَ اهلها
إشارةَ محزونٍ ولم تتكلّمِ
فايقنتُ أنّ الطرفَ قد قالَ مرحباً
وأهلاً وسهلاً بالحبيبِ المتيّمِ
فابردتُ طرفي في نحوها بتحيّةٍ
وقلت لها قول امرىءٍ غيرِ مفحمِ
واني لأذري كلما هاجَ ذكركم
دموعاً أغصّت لهجتي بتكلّمي
وانقادُ طوعاً للذي انتِ اهلهُ
علَى غلظةٍ منكم لنا وتجهّمِ

---

(١) استحقب اي ادّخر (٢) الأيّم مَن لا زوج لها
(٣) تجهمت لي اي استقبلتني بوجه كئيب (٤) الثنية اسم مكان — الكاشح المتنمم . اي المضمر العداوة النمام

ألامُ على حبي كأني سننتهُ
وقد سنَّ هذا الحبُّ من قبلِ جرهمِ (١)

فقالت: اطعتُ الكاشحينَ ومن يطعْ
مقالةَ واشٍ كاذبِ القول يندمِ

وصرّمت حبل الودِّ من ودّكَ الذي
حباك بمحض الودِّ قبلَ التفهمِ

فقلت أسمعي يا هند ثم تفهّمي
مقالة محزونٍ بحبّكِ مغرمِ

لقد ماتَ سرّي واستقامت مودّتي
ولم ينشرح بالقول يا حِبّتي فمي

فان تقتلي في غيرِ ذنبٍ أقلْ لكم
مقالةَ مظلومٍ مشوقٍ متيمِ

هنيئاً لكم قتلي وصفوُ مودّتي
فقد سيطَ من لحمي هواكِ ومن دمي

الاخطل

توُفي سنة ٧١٢ م

شاعر مسيحي من قبيلة تغلِب . نشأ في بلاط عبد الملك بن مروان وكان شاعرهُ الخاص. وكان ابو عُبيدة يعدهُ الاولّ

---

(١) جرهم من قبائل العرب البائدة

بين الشعراء الاسلاميين ويروى عن عمرو بن العلاء قولهُ ان الاخطل لو عاش يوماً واحداً في الجاهلية لَما فضلّتُ عليهِ شاعراً من الشعراء · وكان يشرب الخمر ولا يجيد النظم إلاّ اذا شرب وقد بلغ اعجاب عبد الملك بن مروان بهِ اقصى درجة فسماهُ شاعر بني أُمّية وكان يجزل لهُ العطايا واسمهُ مقرون ابداً باسم جرير واسم الفرزدق لِما كان بين هؤلاء الشعراء من المهاجاة والمساجلة· وهاك مثالاً من قصيدتهِ المشهورة في عبد الملك بن مروان (من البسيط)

خفَّ القطينُ[1] فراحوا منك او بكروا
وازعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

يا قاتَلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ اذا	أيقنَّ أنكَ ممن قد زها الكِبَرُ
اعرضنَ لما حنى قوسي موترُها	وابيضَّ بعد سواد اللّمّةِ الشعَرُ
ما يرعوينَ الى داعٍ لحاجتهِ	ولا لهنَّ الى ذي شيبةٍ وطرُ
حتى هبطنَ من الوادي لغضبتهِ	ارضاً تحُلُّ بها شيبانُ او غُبَرُ[2]
وقعنَ أصلاً وعجنا من نجائبنا	وقد تحيَّنَ من ذي حاجةٍ سفرُ[3]

---

(١) القطين الأتباع وأهل الدار (٢) غضبة الوادي جانبه — شيبان وغبر قبيلتان (٣) اصلاً اي عشيةً — عاج من النجائب اي عطف الركائب

الى امرئٍ لا تُعرِّينا نوافلهُ   اظفرهُ الله فليهنأْ بهِ الظفرُ (١)
الخائض الغمر والميمون طائرهُ   خليفة الله يُستسقى بهِ المطرُ
يغشى القناطر يبنيها ويهدمها   مُسوَّمٌ فوقهُ الرايات والقتَرُ (٢)
وتستبين لأقوامٍ ضلالتهم
ويستقيم الذي في خدّهِ صعَرُ (٣)
في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها
ما إنْ يوازى باعلى نبتها الشجرُ (٤)
حُشْدٌ على الحقِّ عيافو الخنا أُنُفٌ
اذا ألمّت بهم مكروهةٌ صبرُوا
شُمس العداوة حتى يستقاد لهم (٥)   واعظم الناس احلاماً اذا قدروا
بني أُميةَ نعماكم مجلّلةٌ   تمّت فلا مِنّةٌ فيها ولا كدرُ

جرير

توُفي سنة ٧٢٨ م

شاعر مشهور من قبيلة كُلَيب وكان يلازم الحجاج بن

---

(١) تعرّينا اي تذهب عنّا — النوافل العطايا (٢) المسوَّم المُعلَم بعلامة يعرف بها — القتر الغبار (٣) الصعر اي ميل الخد استخفافاً بالناس (٤) النبع اجود الشجر — يعصبون اي يطيفون (٥) شُمس اي صعاب الخُلق

يوسف اولاً ثم جاء الى بَلاط عبد الملك بن مروان ومدحه فجعله من شعرائهِ المقرَّبين. ولجرير كما للفرزدق والاخطل شهرة واسعة بين الادباء وقد كان يهاجي الاخطل والفرزدق وغيرهما من الشعراء ولهم في ذلك نقائض كثيرة صرفوا فيها شاعريتهم القوية. قال من قصيدة يهجو الاخطل (من الكامل)

حيِّ الغداةَ برامةَ الأَطلالا رسماً تقادم عهده فأَحالا (١)
ان الغوادي والسواري غادرت للريح مخترَقاً بهِ ومجالا
لم يُلفَ مثلكَ بعد اهلك منزلاً
فسقيتَ من نوءِ السماك سجالا (٢)
ولقد عجبت من الديار واهلها والدهر كيف يبدّل الابدالا
ورأيت راحلة الصبا قد اقصرت بعد الذميل وملَّتِ الترحالا
انَّ الظعائنَ يوم برقة عاقلٍ قد هجنَ ذا خَبَلٍ فزدنَ خبالا (٣)
هامَ الفؤادُ بذكرهنَّ وقد مضت
بالليلِ اجنحة النجوم فمالا

---

(١) رامة اسم مكان (٢) نوء السماك اي المطر الحادث حين ظهور نجم السماك. والعرب يضيفون الامطار الى النجوم وينسبونها اليها. والسجال مرَّة بعد مرة (٣) الخبال الجنون او الاضطراب — الظعائن. اي النساء في الهوادج وهنَّ مسافرات

اني جعلت فلن أُعافي تغلباً   للظالمين عقوبة ونكالا
انسيتَ يومك بالجزيرة بعدما   كانت عواقبهُ عليك وبالا
حملتْ عليك حماة قيس خيلها   شُعثاً عوابس تحمل الابطالا (١)
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم   خيلاً تشدُّ عليكم ورجالا
هل تملكون من المشاعر مشعراً   او تنزلون من الاراك ظلالا (٢)
فَلَنحن اكرم في المنازل منزلاً   منكم واطول في السماء جبالا
ولو أنَّ تغلِب جمّعت انسابها   يوم التفاضل لم تزِنْ مثقالا

الفرزدق

توُفي سنة ٧٢٨ م

وهو شاعر تميم وُلد في البصرة في اواخر خلافة عمر وكان خليعاً متهتكاً ليس في اخلاقهِ ما يوجب الاعجاب . أما ميلهُ فكان الى بيت عليّ ولهُ فيهم قصائد غرّاء منها القصيدة المشهورة في الامام زين العابدين حفيد الامام علي . ويُعرَف شعر الفرزدق بجزالتهِ . واليك نخبة من قصيدتهِ في الامام زين العابدين (من البسيط)

---

(١) الشعث اي الغُبر لطول السفر   (٢) المشاعر مناسك الحج ومعالمه الظاهرة . الاراك شجر معروف

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته (١) والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته
كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم (٢)
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدراً وعظمه جرى بذاك له في لوحه القلم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم (٣)
ما قال (لا) قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت (٤)
عنها الغياهب والإملاق والظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم

---

(١) البطحاء اي بطحاء مكة (٢) ينجاب . ينكشف — القتم اي السواد والغبار (٣) الخليقة اي الخلق — البوادر ما يبدر من الحدة والغضب (٤) انقشعت انكشفت والغياهب الظلمات والاملاق الفقر والحاجة

إن عُدَّ اهلُ التُقى كانوا أئمتَهم
أو قيل من خيرُ اهلِ الارض قيل همُ
همُ الغيوثُ اذا ما أزمةٌ أزَمَتْ
والأُسْدُ أسْدُ الشَرى والبأسُ مُحتدِمُ (١)
لا يَنقصُ العُسْرُ بَسطاً من اكفِّهم
سيّانِ ذلك إن أثرَوْا وان عدِموا
مُقدَّمٌ بعدَ ذِكر اللهِ ذكرُهمُ
في كلِّ بدءٍ ومختومٌ بهِ الكَلِمُ
ايُّ الخلائقِ ليستْ في رقابهمِ
لِأوَّليّةِ هذا او لهُ نِعمُ
مَن يعرفِ اللهَ يعرفْ اوَّليّةَ ذا فالدِّينُ مِن بيتِ هذا نالهُ الأُمَمُ

اسئلة

(١) قابل الشعر الاموي بالشعر الجاهلي. هل من اختلاف بينهما
(٢) مَن هم الشعراء المشهورون في العصر الاموي
(٣) يختار الاستاذ بعض الابيات او القصائد ينثرها الطلبة
(٤) اذكر ما تعرفهُ عن جرير والاخطل والفرزدق

---

(١) الشرى جبل بتهامة كثير السباع واحتدم اشتد — الازمة الضيق . الغيوث الامطار

النثر والانشاء

لم يصل الينا من منثور هذا العصر شيء يذكر إلاّ انّا نحكم ممّا بين ايدينا منهُ أنهُ كان في الغالب كمنثور الجاهلية والمخضرمين من حيث الايجاز والتركيب على انّ اقتراب الدولة الاموية من الحضارة أثّر في الانشاء ونوّعهُ قليلاً وقد نشأت طائفة من كتّاب الرسائل في الدولة فاصبحت الكتابة مهنة[1] واشهر الكتّاب في ذلك العصر اثنان سالم كاتب هشام بن عبد الملك وعبد الحميد بن يحيى وهو من الموالي ويعدّونهُ امير هذهِ الصناعة واليك بعضاً من رسالتهِ الى الكتّاب . قال :

« اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وارشدكم فانّ الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين ومن بعد الملوك المكرّمين اصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء . وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم معشر الكتّاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروآت والعلم والرزانة بكم تنتظم

(١) اداب اللغة العربية « زيدان »

للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم · فليس واحد من اهل الصناعات كلّها احوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم ايها الكتّاب · فان الكاتب يحتاج في نفسهِ ويحتاج منهُ صاحبهُ الذي يثق بهِ في مهمّات امورهِ ان يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً في موضع الحكم مقداماً في موضع الاقدام محجاماً في موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار قد نظر في كلّ فنّ من الفنون فاحكمهُ· وان لم يحكمْهُ اخذ منهُ بمقدار ما يكتفي بهِ » · وهي طويلة وكلّها على هذا النسق

ومما يذكر هنا كمثال لمنثور ذلك العصر « صفة الامام العادل » وهي رسالة الامام ابي الحسن البصري الى الخليفة عمر بن عبد العزيز· قال منها :

اعلم يا اميرَ المؤمنين أنّ الله جعل الإمام العادل قِوام كل مائل · وقصدَ (١) كل جائر · وصلاحَ كل فاسد · وقوّة كل ضعيف · ونَصَفَة (٢) كل مظلوم · ومفزَعَ (٣) كل ملهوف · والامامُ العدلُ يا اميرَ المؤمنين كالراعي الشفيق على إبلهِ

(١) قصد· استقامة (٢) نصفة منصف (٣) مفزع ملجأ

الرفيقِ الذي يرتادُ[١] لها اطيبَ المرعى ويذودُها[٢] عن مراتع المَهلكةِ ويحميها من السباعِ ويكنفُها[٣] من اذى الحرّ والقرّ[٤]

والامامُ العدلُ يا اميرِ المؤمنين كالقلبِ بين الجوانح تصلح الجوانح[٥] بصلاحهِ وتفسدُ بفسادهِ — هو القائم بين اللهِ وبين عبادهِ يسمعُ كلام اللهِ ويُسمِعُهم وينظرُ الى اللهِ ويريهم وينقاد الى الله ويقودُهم فلا تكنْ يا اميرِ المؤمنين فيما ملّكك اللهُ كعبدٍ ائتمنهُ سيدهُ واستحفظهُ مالهُ وعيالهُ فبدّد المال وشرّد العيال فأفقرَ اهلهُ وفرّق مالهُ . واعلم يا اميرِ المؤمنين انّ الله أنزل الحدودَ ليزجُرَ[٦] بها عن الخبائثِ والفواحشِ فكيف اذا اتاها من يَليها وانّ الله انزل القصاصَ حياةً لعبادهِ فكيف اذا قتلهم من يقتصُّ لهم واذكر يا اميرِ المؤمنين الموت وما بعدَهُ وقلّة اشياعك عندهُ وانصارِك عليهِ فتزوّد لهُ ولما بعدهُ من الفزع الاكبر . واعلم — ان لكَ منزلاً غيرَ منزلكَ الذي انتَ فيهِ يطول فيهِ ثواؤُك ويفارقُك احباؤُك . يسلمونك في قعرهِ فريداً وحيداً فتزوّد لهُ ما يصحبك يومَ يفرُّ المرءُ من اخيهِ وأُمهِ وأبيهِ . وصاحبتهِ وبنيهِ . فالآن يا اميرِ المؤمنين

---

(١) يفتش عن (٢) يدفعها (٣) يقيها (٤) البرد

(٥) الجوانح جوانب الصدر (٦) زجر عن . منع

وانت في مَهَلٍ قبل حلول الأَجل وانقطاع الامل لا تحكم يا امير المؤمنين في عبادِ اللهِ بحكم الجاهلينَ ولا تُسلّط المستكبرينَ عَلَى المستضعفينَ . فانهم لا يرقبون في مؤمنٍ إِلاًّ[1] ولا ذمةً فتبوءَ[2] باوزارِكَ واوزارٍ معَ اوزارك . وتحمل اثقالك واثقالاً مع اثقالك

امّا الخطابة فقد كان لها في العصر الاموي من الاهمية والمنزلة ما لا يقلُّ عمّا كان لها في الجاهلية وايام الفتوح الأُولى وكان قادة الجيوش في الغالب خطباء يستعملون الخطب لاثارة الجند عَلَى الحرب . فمن الخطب المشهورة في هذا العصر خطبة طارق بن زياد يوم فتح الاندلُس وقد عبر برجالهِ البحر واحرق المراكب وراءهم . واليك جلَّها :

ايها الناس اين المفرّ البحر من ورائكم والعدوّ امامكم وليس لكم واللهِ إِلاّ الصدق والصبر واعلموا انكم في هذهِ الجزيرة أَضيع من الأَيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوُّكم بجيشهِ وأَسلحتهُ وأَقواته موفورة وانتم لا وَزَرَ لكم إِلاّ سيوفكم ولا أَقوات إِلاّ ما تستخلصونهُ من ايدي عدوّكم . وان امتدت بكم الايام عَلَى افتقاركم ولم تُنجزوا لكم امراً ذهب ريحكم وتعوّضت

(١) الاّ عهداً (٢) باء رجع — اوزار آثام

القلوب من رُعبها عنكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذهِ العاقبة من امركم بمُناجزة هذا الطاغية فقد ألقت بهِ اليكم مدينتهُ الحصينة . وان انتهاز الفرصة فيهِ لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت وإني لم أُحذركم أمراً انا عنهُ بنجوةٍ . ولا حملتكم على خطةٍ ارخص متاع فيها النفوس أُبدأُ بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً . فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيهِ بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما أنشأت هذهِ الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عرباناً . ورضيكم لملوك هذهِ الجزيرة اصهاراً وأختاناً ثقة منهُ بارتياحكم للطعان . واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظهُ منكم ثواب الله على اعلاء كلمتهِ واظهار دينه بهذهِ الجزيرة والله وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا أني اوّل مجيب الى ما دعوتكم اليهِ واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتلهُ فان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكتُ بعده فقد كُفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تُسندون اموركم اليهِ وان هلكتُ قبل وصولي اليهِ فاخلفوني في عزيمتي هذهِ واحملوا بانفسكم عليهِ واكتفوا الهمّ من فتح هذهِ الجزيرة بقتلهِ

الخلافة الأُموية

في الأَندَلُس

يُراد بالاندلس اسبانيا والبورتغال وقد سميّت كذلك نسبةً الى قبائل الفندال التي نزلتها في القرن الخامس للميلاد فاطلق الاسبان عليها اسم فندلوشيا ثم حرّفهُ العرب الى الاندلس

فتح الاندلس — في السنة السابعة من ملك الوليد بن عبد الملك وهي السنة ٧١٠ م عبر المسلمون البحر الى اسبانيا يقودهم طارق بن زياد[١] احد رجال موسى بن نُصير وكانت اسبانيا يومئذٍ في اضطراب داخلي وقد قام فريق من اشرافها عَلَى الملك رودريك (ويسميهِ العرب لذريق) وارسلوا الى موسى بن نصير يستنجدونهُ عليهِ والعرب يومئذٍ طامعون في فتح الاندلس فاجابهم موسى الى ذلك وارسل طارقاً فغزا بلادهم وقهر ملكهم فلما وصلت الاخبار الى موسى حرَّكتهُ الغيرة فأَمر طارقاً بتوقيف الزحف وسار هو بنفسهِ الى اسبانيا ففتح عاصمتها طايطلة (Toledo) وأَتمَّ فتح الاندلس . ثم جاءهُ الامر من الوليد ان

(١) وهو الذي سُمّي بوغاز جبل طارق باسمهِ

يقدم الى الشام فاستخلف عَلَى الاندلس ابنــهُ وصارت الولاة تتعاقب عليها من قبل الخلفاء الامويين ثم العباسيين حتى دخلها عبد الرحمن الاموي وثبَّت فيها ملكهُ فارجع الحكم لبني أُمَيَّة. ومنهُ تبتدئ الدولة الاموية في الاندلس

عبد الرحمن الاول: ٧٥٦ م — ٧٨٨ م. وكان لما قام المنصور العباسي وأعمل السيف في بني أُمَيَّة ان حفيداً للخليفة هشام اسمهُ عبد الرحمن نجا من السيف وهام عَلَى وجههِ يضرب في الآفاق وحيداً شريداً لا ظهير لهُ الاَّ خادم لهُ يدعى بدراً حتى قذفت بهِ الايام الى افريقيا فالتفَّ عليهِ البربر وناصروهُ. وكان عبد الرحمن ذا همةٍ ومراس طموحاً الى العلى طامعاً الى الملك فسوَّلت لهُ نفسهُ ان يغزو اسبانيا ويؤسس لنفسهِ سلطنة هناك وكانت سيئَة النظام فبعث بخادمهِ بدرٍ اليها يدس الدسائس ويصطنع الاحزاب فتمكن بدهائهِ وصبرهِ من جذب اليمنية اليهِ وحملهم عَلَى نصرتهِ وهم مضطغنون يومئذٍ عَلَى المضرية لانفرادهم بالسيادة فلما وثق عبد الرحمن منهم حمل عَلَى اسبانيا بمغاربة افريقيا فاستولى عليها وذلك في السنة ٧٥٥ م وجعل عاصمة ملكهِ قرطبة. وكان همهُ في اوَّل الامر منصرفاً الى تعزيز سلطانهِ وخضد شوكة مناوئيهِ من العرب ولا بد لهُ

في ذلك من الحكمة والدهاء فضلاً عن الاقدام والبسالة لا سيما وان الاسبان كانوا يعدُّون العرب اجمالاً غزاة مغتصبين فاذا رأوا فرصة للوثوب عليهم وثبوا· على ان ذلك لم يحلْ دون اماني الفاتح العظيم فقهر الاعداء وثبَّت سلطانه· ثم انصرف الى تعمير البلاد وترقيتها فازدهت في ايامه ووفرت ثروتها وراجت العلوم والمعارف فيها

ابنه هشام ٧٨٨ م — ٧٩٦م · وكان كثير الجهاد والغزو ميالاً الى رجال الدين شديد التمسك باقوالهم فاشتدَّ ساعدهم بهِ وعظم امرهم وقد سار في خطوات ابيهِ فاكمل جامع قرطبة

ابنه الحكم ٧٩٦ م — ٨٢١ م وخلفهُ الحَكم فاستفحل ملكه وباشر الامور بنفسهِ واستكثر من المماليك ولم يكن يرضى عن تدخل اهل الدين في شؤون الدولة فنقموا عليهِ وحملوا العامة على الوثوب بهِ ثم اجتمعوا وبايعوا محمد ابن القاسم لكن الحكم فاز عليهم وقهرهم ثم حارب الافرنج ونال منهم نيلاً عظيماً وهو اوَّل من جند الاجناد والمرتزقة واتخذ المماليك وكان لهُ عيون يطالعونهُ بالاحوال

ابنه عبد الرحمن الثاني ٨٢١ م— ٨٥٢ م· في ايامهِ قدم

المغني الشهير زرآب استاذ ابرهيم الموصلي فبالغ عبد الرحمن في اكرامهِ وهو الذي ادخل صناعة الغناء الى الاندلس · وكانت ايام عبد الرحمن ايام صفو وسلام كثرت فيها الاموال فاتخذ القصور وانشأَ المتنزّهات

ابنه محمد ٨٥٢ م — ٨٨٦ م كان محمد مولعاً بالبناء فأَتمَّ جامع قرطبة وبنى جوامع كثيرة غيرهُ وخلفهُ المنذر ابنهُ فملك سنتين ولم يحدث في ايامهِ شيءٌ يذكر

عبداله بن محمد ٨٨٨م — ٩١٢م · وفي ايامهِ تحرَّك الثوَّار وقلَّ الخراج · وكان خراج الاندلس قبلاً على ما يزعمون الف الف دينار وانما حدثت الثورة في ايامهِ لاتّساع الخرق بين الحكَّام الامويين وسائر الاندلسيين من العرب وزعيم الثورة عمر بن حفصون وهو رجل شديد البطش كان في اول امرهِ زعيم عصابة ثم راس الثورة لكنهُ فشل وبقيت السيادة لبني أُميَّة

عبد الرحمن الناصر ٩١٢م — ٩٦١ م · وهو اوَّل مَن سُمّي امير المؤمنين · رقي العرش والاندلس مضطربة فسكَّنها وقاتل المخالفين حتى اذعنوا · وكان كثير الجهاد والغزو الى دار الحرب فاوطأَ المسلمين من بلاد الافرنج ما لم تطأْهُ اقدامهم من

قبل ومدّت اليهِ امم النصرانية يد الاذعان وأوفدوا اليهِ رسلهم وهداياهم من رومية والقسطنطينية · ولما استفحل امره ُ صرف نظره ُ الى تشييد المباني والقصور منها قصر الروضة المشهور وقد بنى مدينة الزهراء وجعلها مركزاً لهُ وانشأ فيها من المباني والمتنزّهات والحدائق والمسارح والمصانع ما يقصر القلم دونهُ ولا شكّ انهُ اعظم ملوك الاندلس ومن اشهر رجال الاسلام · قال دوزي ان اعمالهُ من قبيل المعجزات فقد اجرى الذهب في الاندلس ورفع شأن العلم فنهض بالعرب الى السماك الأعلى وبموتهِ بدأت دولة الامويين تسقط كما سترى

ابنهُ المستنصر ٩٦١ م—٩٧٦م وكان محبّاً للعلوم جمّاعة للكتب على انواعها مما لم يجمعهُ احد من الملوك قبلهُ · قال ابن حزم اخبرني ابن بكية الخصيّ وكان علَى خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ان عدد الفهارس التي فيها اسماء الكتب كان اربعاً وأربعين فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها إلاّ ذكر اسماء الدواوين · فأقام المستنصر للعلم والعلماء سلطاناً وكان يبعث في الكتب الى الاقطار رجالاً من التجار ويسرب اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوهُ وبعث في طلب كتاب الاغاني الى مصنفهِ ابي الفرج الاصفهاني الف دينار

من الذهب العين فبعث اليهِ بنسخة منهُ قبل ان يخرجهُ بالعراق وجمع في دارهِ الحذّاق في صناعة النسخ والمهرَة في الضبط والإجادة في التجليد فأوعى من ذلك كلهِ

دولة العامريين

خلَف المستنصر ابنهُ هشام المؤيد وكان يناهز الحلم وقد استوزر لهُ ابوهُ محمد بن ابي عامر فثار لوزيرهِ هذا رأيٌ في الاستبداد فمكر بأهل الدولة وضرب بين رجالها واستولى علَى البلاد وحجر علَى الخليفة هشام ثم ابتنى لنفسهِ مدينة سماها الزاهرة وأمر بأن يحيَّى تحية الملوك ولقّب المنصور وكان شجاعاً حكيماً وخلفهُ « ابنهُ المظفَّر » وجرى علَى سنَن ابيهِ في حجز الخليفة هشام والاستبداد بهِ ثم « اخوهُ عبد الرحمن » فجرى مجرى ابيه وأخيهِ وطلب من الخليفة ان يولّيه عهدهُ فاجابهُ الى طلبهِ لكن الامويين نقموا ذلك فاجتمعوا لامرهم في غيبة عبد الرحمن ببلاد الجلالقة وقتلوا صاحب الشرطة وخلعوا هشاماً ثم بايعوا محمد بن هشام ولقّبوهُ بالمهدي فتسلل الجند عن عبد الرحمن ولحقوا بالمهدي واعترضهُ واحد فاحتزّ رأسهُ وذهبت بذلك دولة العامريين

ملوك الطوائف والبربر

وفي السنة ١٠٢٣ م بُويع عبد الرحمن اخو المهدي لكنَّ رجلاً من اعقاب الخلفاء يدعى المستكفي قتلهُ واستبدَّ بالامر وعادت الفتن الى الاندلس فتفرَّقت دولاً دولاً عُرِفت بدول الطوائف اشهرها «بنو عباد» وعاصمتهم اشبيلية وهم اوسع ملوك الطوائف اقتداراً واعظمهم قدراً وقد نبغ فيهم المعتمد الشهير «وبنو جهْور» في قرطبة «وبنو نصر» في غرناطة «وبنو هود» في سرقسطة «وبنو ذي النون» في طليطلة وملوك بلنسية وغيرهم

وبقيت الاندلس كذلك الى اواخر القرن الحادي عشر للمسيح حين غزاها البربر من افريقيا. وقد عُرِف من البربر دولتان كبيرتان الاولى «المرابطون» واشهر زعمائهم يوسف بن تاشفين وهم اهل غزو لم يكن لهم ميل الى الحضارة فخمدت في ايامهم المعارف واستولى على البلاد الجهل والظلام وقد بقيت السيادة لهم الى سنة ١١٤٧ م — والثانية «الموحدون» وفي ايامهم زهت العلوم فنبغ جملة حسنة من كبار العلماء والفلاسفة

وفي النصف الاوَّل من القرن الثالث عشر اضمحلَّ ملك البربر من الاندلس وخرج الاسلام منها ولم يبقَ للمسلمين إلاَّ

غرناطة بقيت الى الجيل الخامس عشر للمسيح وملوكها بنو نصر وذلك من سنة ١٢٣٢ م — ١٤٩٢ وهم بناة الحمراء المشهورة وفي ايامهم ازدهر العلم وقام بضعة من كبار العلماء اشهرهم ابن خلدون الفيلسوف المؤرّخ ولسان الدين بن الخطيب الاديب المشهور

اسئلة

(١) كيف فتحت الاندلس ومن هو فاتحها

(٢) مَن هم اشهر ملوكها

(٣) صف عمران الاندلس في إبَّان مجدها

(٤) مَن هم ملوك الطوائف وكيف اضمحل ملك العرب من اسبانيا

الآداب العربية

في الاندلس

كانت اوربا لما دخلها العرب في ظلمات حالكة لذلك سهل عَلَى الفاتحين نشر تمدنهم وآدابهم وجعل لغتهم اللغة الرسمية في اسبانيا. ولقد وجد الاسبان في التمدُّن الاسلامي يومئذٍ ما لم يكن عندهم فاقبلوا عليهِ وتشرَّبوا مبادئهُ حتى عمت شكوى زعمائهم من تلك الحال. يدلُّك عَلَى ذلك ما رواهُ نيكلسون من ان اسقف قرطبة كتب مرةً الى بعضهم شاكياً من إقبال رعيتهُ عَلَى الآداب العرَبية قال — مِن المؤلم انهم لم يفعلوا ذلك ليتمكنوا من دحض مدَّعيات اعدائهم بل ليتقنوا العرَبية و يبرعوا فيها. فَمَن من الجمهور الآن يقرأُ الاسفار المقدسة باللاتينية! أَوَّاه إنَّ تيَّار العرَبية قد جرف الكبير مع الصغير حتى نبذ الجميع لغة دينهم واندفعوا نحو العرَبية مُعجبين بهـا مفتونين بأَناقتها وكأَيِّن منهم من يحسنها نظماً ونثراً في حين انهُ لا يستطيع انشاء رسالة بسيطة في اللاتينية اه

ومهما كان في شكوى الاسقف المذكور من المغالاة فلا ريب انهُ كان للآداب العربية شأن كبير في اسبانيا وقد

شارك المسيحيين فيها اليهود فقام منهم نخبة ممن نظموا الشعر العربي وتفننوا في الرسائل والعلوم ومما لا ريب فيه ان الاسبان الذين اعتنقوا الاسلام تعرَّبوا حالاً فاصبحوا كالعرب انفسهم في كل احوالهم وكان لهم القِدح المعلَّى في النهضة العلمية العرَبية في اسبانيا

الشعر الاندلسي — لم يخرج الشعر في الاندلس عن القواعد والاصول التي وُضعت لهُ في العراق والشام عَلَى انهُ كما تغيَّر الشعر القديم باختلاط العرب بالفرس كذلك طرأ عليهِ شيء من التغيير من اختلاط العرب بالاسبان . واكثر ما يظهر ذلك في الغزل والاشواق ووصف الرياض والجنائن مما يقتضيهِ بلد كالاندلس خصَّهُ الله بجمال الطبيعة ورقة الطباع . وشعراء الاندلس من المتانة والرقة بمكان

وقد ادخلوا في الشعر العرَبي اوزاناً جديدة اهمها الموشَّح والزجل

فمن الموشحات موشحة لسان الدين بن الخطيب الذي يقول في مطلعها (من البحر الرمل)

جادكَ الغيثُ اذا الغيث همى ... يا زمانَ الوصل بالاندلُسِ
لم يكن وصلكَ إلاَّ حلُما ... في الكرى او خلسة المختلسِ

دور

اذ يقود الدهر أشتات المنى　　ينقل الخطوَ علَى ما يرسمُ
زُمَراً بين فُرادى وثُنا　　مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ
والحيا قد جلَّل الروضَ سنا　　فثغور الروض منهُ تبسِمُ
وروى النعمان عن ماء السما　　كيف يروي مالكٌ عن انسِ
فكساهُ الحسنُ ثوباً مُعلَما　　يزدهي منهُ بأبهى ملبسِ

دور

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى　　بالدجى لولا شموسُ الغُررِ
مال نجم الكاس فيها وهوى　　مستقيمَ السير سعد الاثرِ
وطرٌ ما فيهِ من عيب سوى　　انهُ مرّ كلمح البصرِ
حين لذّ الانس شيئاً او كما　　هجمَ الصبح هجومَ الحرَسِ
غارت الشهبُ بنا او رُبما　　اثرت فينا عيونُ النرجسِ

دور

ايُّ شيءٍ لامرىءٍ قد خلُصا　　فيكونُ الروضُ قد مُكِّنَ فيهْ
تنهب الازهار فيهِ الفرَصا　　أمنتْ من مكرهِ ما تتقيهْ
فاذا الماء يناجي والحصا　　وخلا كلٌّ خليلٍ بأخيهْ
تبصر الورد غيوراً برِما　　يكتسي من غيظهِ ما يكتسي
وترى الآسَ لبيباً فهِما　　يسرق الدمع بأذني فرسِ

اما الزجل فقد قال فيهِ ابن خلدون انهُ لما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس وأخذ بهِ الجمهور لسلاستهِ نسجت العامة من اهل الامصار على منوالهِ من غير ان يلتزموا اعراباً واستحدثوا فناً سموهُ بالزجل فجاؤُا بهِ بالغرائب واتسع فيهِ للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستقبحة

شعراؤهم — المقدمون من شعراء الاندلس عديدون ومن العبث ان نأتي هنا بما يلمُّ بهم جميعاً ولذلك رأينا ان نجتزئ بخمسة من كبارهم ممن يمثلون الحياة الاندلسية تمام التمثيل وهم :

ابن هاني : توفي ٩٧٢ م — وهو الملقَّب بمتنبئ الغرب . شاعر مدَّاحة مجيد غزير المادة شديد النَفَس وقد ضرب بهِ المثل في الشعر فقيل من بيت مشهور « او تكن شاعراً فكن كابن هاني » وكان كثير الانهماك بالملذات متهماً بمذهب الفلاسفة فنقم عليهِ اهل اشبيلية واضطرُّوهُ الى الانفصال عنها فاتصل بجعفر بن الاندلسية صاحب الزاب وقد قابلهُ هذا بتأهيل وترحاب فمدحهُ كثيراً وكذلك مدح المُعِزَّ خليفة مصر الفاطمي إلاَّ انهُ أفرط في المدح وتجاوز المدى . من شعرهِ قولهُ يمدح ابن غلبون (من الطويل)

وكم جحفلٍ مَجرٍ قرعت صفاتَهُ بصاعقةٍ ترفضُّ منها الجماجمُ (١)
أتتكَ بها الآسادُ تحت زئيرها فطارت بها عن جانبيكَ القشاعمُ (٢)
أتوكَ فخرّوا الى الارض سُجَّدا ولكنما كانت تخرُّ الجماجمُ
ولو حاربتكَ الشمسُ دونَ لقائهم لأعجلها جندٌ من الله هازمُ
سبقتَ المنايا واقعاً بنفوسهم كما وقعت قبل الخوافي القوادمُ (٣)
تقودُ الكماةَ المُعلَمِينَ الى الوغى لهم فوق اصوات الحديد هماهمُ (٤)
غزوا في الدروع السابغاتِ كأنما تُديرُ عيوناً فوقهنَّ الاراقمُ (٥)
فليسَ لهم إلاَّ الدماءَ مشاربٌ وليسَ لهم إلاَّ النفوسَ مطاعمُ
يودُّونَ لو صِيغت لهم من حفاظهم وإقدامهم تلك السيوف الصوارمُ
ولو طعنت قبلَ الرماحَ قلوبهم ولو سبقت قبلَ الأكفِّ المعاصمُ

ابن سهل : توفي ١٢٥٢ م — هو شاعر اشبيلية وكان يهودياً رقيق النظم لطيف الاسلوب كثير العشق وقد مات غرقاً ولهُ موشحات واشعار كثيرة منها الموشح المشهور الذي مطلعهُ

ليلُ الهوى يقظانْ والحب تربُ السهرِ

---

(١) الجحفل المجر اي الجيش العظيم الكثيف — ترفض اي تتفرق
(٢) القشاعم النسور الكبيرة (٣) القوادم عشر ريشات كبيرة في مقدّم الجناح والخوافي ريشات صغيرة واقعة تحت القوادم
(٤) كماة ابطال — المعلم الذي لهُ علامة الشجاع (٥) الاراقم اي الافاعي

والصبرُ لي خوّانْ والنوم عن عيني بري

ومن رقيق شعرهِ (من البسيط)

سل في الظلام اخاكَ البدر عن سهري
تدري النجوم كما تدري الورى خبري
أبيت اهتفُ بالشكوى وأشربُ من
دمعي وأنشق ريًا ذكركِ العطرِ
حتى يخيّل أنّي شاربٌ ثمِلٌ بين الرياض وبين الكأس والوترِ
مَنْ لي بهِ اختلفت فيهِ الملاحة اذ أومت الى غيرهِ إيماءَ مختصرِ
معطّلٌ فالحلى منهُ محلّاةٌ تغنى الدراري عن التقليد بالدررِ
بخدهِ لفؤادي نسبةٌ عجبًا كلاهما أبدًا يدمى من النظرِ
وخالهُ نقطةٌ من غنج مقلتهِ اتى بها الحُسنُ من آياتهِ الكُبَرِ
جاءت من العين نحو الخد زائرةً وراقها الوردُ فاستغنت عن الصدَرِ
بعض المحاسن يهوى بعضها شغفًا تأمّلوا كيف هام الغنج بالحوَرِ
إنْ تُقصني فنفارٌ جاءَ من رشإٍ او تُضنني فمحاقٌ جاء من قمرِ

الوزير ابن زيدون : ١٠٠٤ م — ١٠٧١ م وهو الملقب بحتري المغرب لحسن ديباجتهِ ووضوح معانيهِ. احب ولّادة ابنة الخليفة المستكفي وأحبتهُ ولهُ فيها قصائد غرر . وولّادة هذه من اشهر مَن عرفنَ بالشعر والادب وكانت بعد موت ابيها

تعقد مجالس للبحث والنقد يحضرها نخبة الشعراء والادباء

وقد حكمت الايام على ابن زيدون بالانفصال عنها فلما يئس من لقياها بعث اليها بقصيدة يستديم عهدها ويؤكد ودها وهي قصيدة رشيقة قال فيها (من البسيط)

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلّت جوانحنا ... شوقاً اليكم ولا جفّت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا
حالت لبينكمُ أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلقٌ من تألّفنا ... ومورد اللهو صافٍ من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانيةً ... قطوفها فجنينا منها ما شينا
ليسق عهدكمُ عهدُ السرور فما ... كنتم لارواحنا الاّ رياحينا
انّ الزمان الذي ما زال يضحكنا ... أنساً بقربكمُ قد عاد يبكينا
وقد نكون ولا يُخشى تفرّقنا ... فاليوم نحن ولا يُرجى تلاقينا
لم نعتقدْ بعدكم الاّ الوفاء لكمْ ... رأياً ولم نتقلّد غيرهُ دينا
لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا ... ان طال ما غيّر النأيُ المحبّينا
والله ما طلبتْ اهواؤنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
فيا نسيم الصبا بلّغْ تحيّتنا ... مَن لو على البعد حياً كان يحيينا
ويا نعيماً رفلنا في غضارته ... في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

يا جنةَ الخلدِ أُبدلنا بسلسلها
والكوثرُ العذب زقُّوماً وغسلينا (١)
دومي علَى العهدِ ما دمنا محافظةً فالحرُّ من دان انصافاً كما دينا
ان كان قد عزَّ في الدنيا اللقاء ففي
مواقف الحشرِ نلقاكم ويكفينا

ابن خفاجه : ١٠٥٨م — ١١٣٨ م ويسميهِ اهل الاندلس الجنان لاكثارهِ من وصفها وكان مقيماً بجزيرة شقَر من اعمال بلنسية لا يتعرّض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم علَى اهل الادب ولهُ ديوان شعر حسن . قال في عشية انسٍ

وعشيُّ أُنسٍ أَضجعتني نشوةٌ فيها تمهّد مضجعي وتدمّثُ
خلعتْ عليَّ بهِ الاراكةُ ظلّها والغصن يصغي والحمامُ يحدّثُ
والشمس تجنح للغروب مريضة والرعد يَرقي والغمامة تنفثُ

ومن حكمهِ

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنّان كلّ الظن انْ لا تلاقيا

ابن بقيّ : وهو شاعر مشهور ولهُ موشَّحات غاية في الجودة

---

(١) السلسل الماء العذب — الكوثر نهر في الجنة — زقُّوم ثمر مرّ الطعم — الغسلين الماء الخارج من جلود اهل النار ومن لحومهم

قال فيه ابن خاقان ما ملخصهُ — كان نبيلاً في النثر والنظم لكن الايام لم تتمّ لهُ وطراً ولا انزلتهُ مرعى خصيباً فصار راكب صهوات وقاطع فلوات لا يستقرّ يوماً ولا يستحسن قوماً . ومن ظريف قولهِ

بأبي غزالاً غازلتهُ مقلتي بين العذيبِ وبين شطَّي بارقِ
حتى اذا مالت بهِ سنةُ الكرى زحزحتهُ شيئاً وكانَ معانقي
ابعدتهُ عن اضلعٍ تشتاقهُ كي لا ينام علَى وسادٍ خافقِ

النثر والانشاء — الخلافة الاموية في الاندلس معاصرة للخلافة العباسية ولذلك قد يصدق علَى آدابها ما يصدق علَى هذه . ومع انهُ قد نشأ في الاندلس جماعة كبيرة من العلماء والكتبة وربما فاقوا معاصريهم من اهل المشرق فنسقهم في الكتابة واحد وعليهِ فلا بأس من دمجهم مع زملائهم من العصر العباسي

اسئلة

(١) صف اداب الاندلس ونهضتها العلمية
(٢) من هم اشهر شعرائها . بماذا عرف كلٌّ منهم
(٣) اذكر شيئاً من الشعر الاندلسي . ماذا تعني بالموشح والزجل

الخلافة العباسية

في بغداد

من سنة ٧٥٠ م الى ١٢٥٨ م

تُقسم الخلافة العباسيّة الى قسمين الاوّل عصر الزهو والتقدُّم ويمتد نحواً من قرنين والثاني عصر التأخُّر والانحلال وهو ينتهي بفتح التتر لبغداد في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد

العصر الاول — لمّا سقط الأمويون في الشام لقيام الموالي (اي العناصر الاسلامية من غير العرب) عليهم ولاستفحال الخلاف بينهم واشياع البيت العلوي انتقلت الخلافة الى بني العباس وهم عائلة شريفة يرجع نسبها الى العباس عم الرسول. ونظراً لاعتماد العباسيين الموالي في خلافتهم كان لهؤلاء نفوذ كبير في البَلاط العباسي وما زال هذا النفوذ يزداد حتى استفحل جداً في القرن العاشر فاصبح الخلفاء آلات في ايدي المتنفذين من العجم والاتراك وكان ذلك سبباً من اسباب انحلال الخلافة العباسية

علَى ان العصر العباسي الاوّل كان عصر تقدُّم في السياسة والعمران وملوكهُ من اشهر الخلفاء وأقدرهم. واليك ترجمة بعضهم

ابو العباس السفاح : ٧٥٢م—٧٥٤م هو مؤسس الدولة العباسية وكان سديد الرأي حسن الوجه لكنهُ كان ايضاً سفّاكاً شديد البطش فقد أباد بني أُمّية بحدّ السيف لم ينجُ منهم غير عبد الرحمن الذي أسّس الدولة الاموية في الاندلُس. وهو اول مَن اتخذ الوزراء في الاسلام

ابو جعفر المنصور: ٧٥٤م—٧٧٩م وهو باني بغداد وكان مهيباً شديد البطش محباً للعلوم والفلسفة وفي ايامهِ بدأت النهضة الادبية الكبرى ولما حجّ اوصى ابنهُ قال — اوصيك بأهل بيتك ان تظهر كرامتهم فانّ عزّك عزّهم وما أظنك تفعل. وانظر مواليك وأحسن اليهم واستكثر منهم فانهم مادّتك لشدّةٍ ان نزلت بك وما اظنك تفعل. واياك ان تُدخل النساء في امرك وأظنك تفعل. هذه وصيتي اليك والله خليفتي عليك[١]. وكان بَلاطهُ فخماً ولما مات ترك وراءهُ ثروة واسعة قدّرها بعضهم بمئة وخمسين مليون ريال[٢] وكان بعيداً عن اللهو والشرب وفي أيامهِ بزغت شمس المعارف في الدولة.

المهدي بن المنصور : ٧٧٩م—٧٨٤م في ايامهِ شبّت بعض الثورات الداخلية اعظمها ثورة المقنّع وهو رجل ادّعى النبوءة

(١) ابن العبري (٢) History of all Nations

وكان يقتنع فسمي المقنع · لكن المهدي تمكّن من اخماد تلك الثورات وحاصر المقنع حتى حمله على الانتحار ويقال ان المقنع قتل جميع نسائهِ قبل ان ينتحر · وسيّر المهدي جيشاً الى القسطنطينية وصاحب الروم يومئذٍ ايريني امرأة الملك لاون نخافت وطلبت الصلح عَلَى ان تدفع لهُ فدية سنوية فرجع عنها· وفي السنة ٧٨٤م مات المهدي مسموماً بيد جارية من جواريه· وكان كأبيهِ الاّ في جمع الاموال

الهادي بن المهدي : ٧٨٤م—٧٨٦م ملك سنتين وتتبع الزنادقة (وهم الفلاسفة الذين كانوا ينكرون التقاليد الدينية) فقتل منهم جماعة وتوفي وهو في السادسة والعشرين ويقال ان والدتهُ نقمت عليهِ لغرض في نفسها ومهّدت السبيل لموتهِ

هرون الرشيد: ٧٨٦م—٨٠٨م وهو اشهر الخلفاء واكثرهم ذكراً في القصص والنوادر ولا سيما في قصص الف ليلة وليلة· وكان ميالاً الى العلوم فناصر رجالها واشتهر في ايامهِ وزراؤهُ البرامكة وهم من العجم وأشهرهم يحيى وجعفر والربيع وكان الرشيد يكرمهم في بادىء الامر ويثق بهم ثقة كبرى ثم نقم عليهم فقتلهم وأباد آل برمك وكانوا اشهر الناس في السخاء والغنى وقد شق موتهم عَلَى جميع مَن عرف اخلاقهم الفاضلة

ومزاياهم الكريمة فندبهم الشعراء ولا يزال الناس الى الآن يضربون الامثال بكرمهم وفضلهم

وفي ايام الرشيد اتسعت التجارة وكثرت الاموال وزهت العلوم والمعارف ولما مات اوصى بالأمر بعدهُ لولديهِ المأمون والأمين لكن الامين غُلب عَلَى امرهِ واستقرّت الخلافة لأخيهِ

المامون : ٨١٣م — ٨٣٣ م هو فيلسوف الخلفاء وعالمهم وكان كثير الميل الى مناصرة العلم والعلماء فوصل العلم في ايامهِ الى أبعد غاية. ومن مآثرهِ انهُ استجاد مَهَرة التراجمة وكلّفهم ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية فترُجمت لهُ من اليونانية عَلَى غاية ما امكن « ثم حرّض الناس عَلَى قراءتها ورغّبهم في تعليمها وبنى المرصد ووضع فيهِ الآلات وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذُّ بمذاكرتهم » فنبغ منهم في ايامهِ الفلكيون والرياضيون والفلاسفة وغيرهم. وكان المأمون يقول بخلق القرآن ويجادل العلماء ولهُ في الفلسفة آراء كبيرة وفي ايامه فُتحت كريت وصقلية (سيسيليا) وجنوبي ايطاليا وكان بلاطهُ كبلاط ابيهِ في غاية الأُبَّهة والفخامة

المعتصم بن الرشيد : ٨٣٣م — ٨٤١ م قيل كان لهُ مئة وثلاثون الف فرس وهو يزيد عَلَى عدد الخيالة التي كانت

لنابوليون في أوج مجده وكان المعتصم يقول في القرآن قول المأمون ويجلد من لا يقول ذلك حتى انهُ لم يخشَ ان يجلد الامام احمد ابن حنبل ويزجهُ في السجن . ومن اعماله أنهُ حارب الروم وفتح عمورية وهو الفتح الذي أنشد فيه ابو تمام قصيدتهُ المشهورة « السيف اصدق انباءً من الكتبِ » وبنى بقرب بغداد مدينة سرّ مرّا (او سرّ من رأى) وأسكن فيها الفتيان الاتراك الذين انشأ منهم جيشاً خاصاً لهُ . ولهؤلاء الاتراك دور كبير في تاريخ هذه الدولة كما سيجيء قيل ولم يكن مثل المعتصم في القوة والشجاعة

الواثق بن المعتصم : ٨٤١ م — ٨٤٦ م في ايامهِ غزا المسلمون صقلية وفتحوا مدينة مسيني . وكان يذهب في اكثر اموره مذهب عمه المأمون . ولما حضرتهُ الوفاة جعل يردد هذين البيتين

الموت فيهِ جميع الناس تشتركُ   لا سوقةٌ منهمُ يبقى ولا ملكُ
ما ضرَّ اهلُ قليلٍ في تفاقرهم   وليس يغني عن الملاّك ما ملكوا(١)

المتوكل بن المعتصم : ٨٤٦ م — ٨٦١ م ذكر بعضهم انهُ حدثت في ايامهِ زلازل في الشام وفارس وخراسان واليمن .

---

(١) مفتاح الذهب

ولما وَلِي الامر أمر بهدم قبر الحسين بن علي بن ابي طالب وان يبذر ويُسقى موضعهُ ويمنع الناس من اتيانهِ · وثار في ايامهِ الأرمن فاخضعهم · ومما يذكر لهُ انهُ اخرج احمد بن حنبل من السجن ووصلهُ وأمر بترك الجدل في القرآن وان الذمة بريئة ممن يقول بخلق او بغير خلق · وفي ايامهِ غزا الروم مصر وبدأت الدولة العباسية بالتقهقر · وقد مات قتلاً بيد باغر التركي فهو أوّل خليفة قتلهُ الاتراك · ومن ذلك الحين يبتدئ نفوذهم في الدولة حتى يصبحوا وهم القابضون عَلَى كل شيء فيها

اسئلة

(١) صف العصر العباسي بكلمة اجمالية

(٢) الى مَن ينتسب العبّاسيون

(٣) ماذا تعرف عن الرشيد والمأمون

(٤) مَن هم البرامكة اذكر مشاهيرهم

(٥) كيف يختلف العصر العباسي عن العصر الاموي سياسياً

الآداب العربية

في العصر العباسي الاول

الشعر: عُرِف هذا العصر بعصر العلم والفلسفة ففيهِ انتقل الشعر العربي الى طور جديد وقد ألبستهُ الافكار الفلسفية والمبادئ العلمية التي اقتبسها العرب عن اليونان والفرس وغيرهم حللاً قشيبة ولا سيما في الأندلُس هناك بلغ الشعر من الرقة والتفنن مبلغاً كبيراً . وفي هذا العصر قام نخبة من اعظم شعراء العرب وأشهر فلاسفتهم وسنذكر لك بعضهم. وربما كان القرن العاشر للميلاد نهاية العصر الذهبي للشعر لانَّ العرب اصبحوا بعدهُ في طور الانحلال السياسي فذهبت من نفوسهم تلك الشرارة التي يستمدُّ منها الشعر جمالهُ

ومع انَّ علماء النحو واللغة قد لا يستشهدون باقوال شاعر من شعراء العصر العباسي فما ذلك بدليل عَلَى تأَخرهم وتقصيرهم في هذا الميدان بل لذلك اسباب لا محل لذكرها الآن والحقيقة ان شعراء العصر العباسي الاوّل كانوا في الغالب أبعد غاية وأرسخ قدماً في الشعر من الشعراء الذين سبقوهم وذلك لارتقاء

الحضارة والعلوم في ايامهم وفي ذلك ما فيهِ من التأثير على النفس الشعري

النثر: وما يصدق على الشعر من هذا القبيل يصدق على النثر فانَّ توسُّع القوم في العلوم هذَّب لغتهم وقد نشأَت طائفة من المعرّبين الذين نقلوا علوم اليونان والفرس الى العربية فاصبح التعريب مهنةً خاصة وأربابهُ غالباً من امهر الكتبة ومن افاضل العلماء. ومع كثرة اختلاط العجم بالعرب في هذا العصر وانحراف اللغة عن اصولها الأُولى فان علوم اللغة لم تنضج إلاَّ فيهِ واللغة لا يقتلها احتكاك الأُمَّة بغيرها من الامم بل يقتلها ذهاب مجد اربابها وسقوطهم السياسي امام اعدائهم

فنطاق النثر اتَّسع في هذا العصر اتساعاً عظيماً لتدوين العلوم المختلفة وقد دخل اللغة العربية كثير من الالفاظ الجديدة وكانت عبارة الكتابة فيهِ سهلةً خالية من التقليد ولكن بانحلال الدولة اخيراً وتغلُّب العناصر الاعجمية عليها أخذ التكلُّف يظهر في الشعر والنثر كما سيجيء

الشعراء: الذين نشأُوا في هذا العصر طائفة كبيرة وقد اخترنا خمسة من مشاهيرهم كمثال للطالب واليك ترجمتهم وأمثلة من شعرهم:

ابو العتاهية : ٧٤٨ م — ٨٢٧ م نشأَ هذا الشاعر في الكوفة وكان في صغرهِ يبيع الجرار ولكنهُ كان ميالاً الى الادب مطبوعاً عَلَى الشعر فعكف عَلَى النظم حتى اصبح من المقدَّمين فيهِ ونال الجوائز الوافرة٠ قيل ان هرون الرشيد كان يدفع لهُ أَلفي ليرة كل سنة وكان في اوَّل امرهِ قد شُغف بحب جارية للمهدي اسمها عُتبة فنظم فيها كثيراً من قصائد الغزل ثم زهد الدنيا فحوَّل شعرهُ الى الزهد والارشاد ولهُ في ذلك مواقف شهيرة و كثير من شعرهِ في فلسفة الوجود والحياة ينمّ عَلَى يأْسهِ وتشاؤُمهِ٠ من اقوالهِ المشهورة قصيدتهُ البائية التي يقول فيها (من الوافر)

لِدُوا للموتِ وأبنوا للخرابِ فكلُّكُم يصيرُ الى تَبابِ (١)
لمن نبني ونحنُ الى ترابٍ نصيرُ كما خُلقنا من ترابِ
أَلا يا موتُ لم أَرَ منكَ بدأً أَتيتَ وما تحيفُ (٢) وما تحابي
كأَنَّكَ قد هجمتَ عَلَى مشيبي كما هجمَ المشيبُ عَلَى الشبابِ
وإِنكَ يا زمانُ لذو صروفٍ وإِنكَ يا زمانُ لذو انقلابِ
أَراكَ وان طُليتَ بكل وجهٍ كحُلم النوم اِو ظلِّ السحابِ
او الامسِ الذي ولَّى ذهاباً وليسَ يعودُ او لمعِ السَّرابِ (٣)

(١) تباب هلاك (٢) تحيف تظلم (٣) السراب ما يرى عن بعد كأنهُ ماء وهو ليس بماء

وهذا الخَلقُ منكَ عَلَى وفاةٍ — وأرجلهم جميعاً في الرِّكاب
ومهما دمتُ في الدنيا حريصاً — فاني لا أُوَفَّقُ للصوابِ
سأسأل عن امورٍ كنتُ فيها — فما عذري هناكَ وما جوابي
هُما امرانِ يُوضح عنهما لي — كتابي حين أنظرُ في كتابي
فإمَّا أنْ أُخَلَّدَ في نعيمٍ — وإمَّا أنْ أُخلَّدَ في عذابِ

ابو نواس : ٧٦٣ م — ٨١٤ م واسمهُ الحسن بن هاني شاعر كبير المنزلة في الشعر لكن انصرافهُ الى الخمر والخلاعة قد كسف شيئاً من شهرتهِ الشعرية . نشأ ابو نُواس بالبصرة ثم رحل منها الى الكوفة و بغداد فاخذ العلم عن علماء ذلك العصر وكان فصيحاً كثير النوادر راوية للاشعار متضلّعاً من العلوم وهو نديم الخليفة هرون الرشيد وقد اشتهر بين العامة والخاصّة بنوادرهِ الهزلية ولا سيّما بولعهِ بالخمر . ولهُ في الخمر والمجون قصائد كثيرة اكثرها خارج عن حدود الادب عَلَى ان ديوانهُ جامع لكل ابواب الشعر وهو مبرّز في كل باب وقد اجمع النقدة عَلَى جعلهِ في مقدمة المجيدين من الشعراء . اما شعرهُ فطبيعيّ بعيد عن التكلُّف يشفّ عن قريحة وقّادة ومعرفة واسعة فمن خمريَّاتهِ قولهُ : (من البسيط)

دع عنكَ لومي فانَّ اللوم إغراءُ — وداوني بالتي كانت هيَ الداءُ

صفراءُ لا تنزل الاحزانُ ساحتها   لو مسها حجرٌ مسته سرّاءُ
رقّتْ عن الماء حتى ما يلائمها   لطافةً وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجتَ بها نوراً لمازجها   حتى تولّدَ انوارٌ وأضواءُ
دارت علَى فتيةٍ دارَ الزمان بهم   فما يصيبهمُ إلّا بما شاءوا
لتلكَ ابكي ولا ابكي لمنزلةٍ   كانت تحلُّ بها هندٌ واسماءُ
فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً   حفظتَ شيئاً وغابت عنك اشياءُ
لا تحظر العفوَ إن كنتَ امرءاً حرجاً
فان حظرَكهُ في الدين إزراءُ

ومن مديحهِ قولهُ في الأمين بن هرون الرشيد : (من الكامل)

يا دارُ ما فعلتْ بكِ الايّامُ   ضامتكِ والأيام ليسَ تُضامُ
عرمَ الزمان علَى الذينَ عهدتهم   بكِ قاطنينَ وللزمانِ عرامُ (١)
ولقد نهزت مع الغُواة بدلوِهم   وأسمت سرح اللهو حيث أساموا (٢)
وبلغتُ ما بلغَ أمروءٌ بشبابهِ   فاذا عصارةُ كلِّ ذاكَ إثامُ
وتجشّمتْ بي هول كلِّ تنوفةٍ   هوجاءُ فيها جرأةٌ إقدامُ (٣)
تذرُ المطيَّ وراءها فكأنها   صفٌّ تقدمهنَّ وهي إمامُ (٤)

(١) عرم اشتدَّ . العرام الشدة (٢) نهز بالدلو اي ضرب بها في الماء — اسام سرح اللهو اي ارسلهُ وارعاهُ (٣) تنوفة اي فلاة واسعة — الهوجاء الناقة السريعة (٤) المطيّ الخيول وسواها مما يُركب — تذر اي تترك

وَاذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ عَلى الرجالِ حرامُ
قرَّبننا من خيرِ مَن وطئَ الحصى فلها علينا حرمةٌ وذِمامُ
رفع الحجاب لنا فلاحَ لناظرٍ قمرٌ تقطّعُ دونهُ الاوهامُ
ملكٌ اذا علقتْ يداكَ بحبلهِ لا يعتريكَ البؤسُ والإعدامُ
فالبهو مشتملٌ ببدرِ خلافةٍ لبسَ الشبابَ بنورهِ الاسلامُ
انَّ الذي يُرضي الالهَ بهديهِ ملكٌ تردّى المُلْكَ وهو غُلامُ
ملكٌ اذا اعتسرَ الامورُ مضى بهِ رأيٌ يفلُّ السيفَ وهو حُسامُ
داوى بهِ اللهُ القلوبَ من العمى حتى افقنَ وما بهنَّ سقامُ

اسئلة

(١) ماذا تعرف عن تقدمِ الشعر والنثر في هذا العصر
(٢) مَن هم مشاهير شعرائهِ
(٣) صف أَبا العتاهية واذكر شيئاً من شعرهِ
(٤) صف أَبا نواس. بماذا يعرفهُ العامة. اذكر شيئاً من شعره

ابو تمَّام: ٨٠٧ م—٨٤٣ م واسمهُ حبيب بن أَوس وُلد في منبجٍ بالشام وكان ابوهُ نصرانياً فلما بلغ حبيب رشدهُ اسلم ثمَّ ترك بيت والدهِ ورحل الى مصر وصار يخدم في المسجد. وهناك ظهر ادبهُ وكان من الذكاء وقوَّة الذاكرة عَلى جانب عظيم فلفت

انظار الخاصّة اليهِ . ثمّ رحل الى بغداد فقرَّبهُ الخليفة المعتصم منهُ وأخذت شهرتهُ تعلو حتى اصبحت اشعارهُ عَلَى ألسنة الخاصّ والعامّ . عَلَى انَّ ابا تمّام مات وهو في إبّان قوّتهِ قال الاستاذ ضومط من مقالة جليلة انتقد فيها شعر ابي تمام انتقاداً لم يُسبق اليهِ[1] — « الحقّ يقال انَّ أبا تمام شاعر واسع الخيال دقيق التصوُّر بعيد مرامي النظر وأُقدّر انهُ لو عاش حتى بلغ الخمسين او الستين ولم يمنعهُ الانهماك في الشهوات من ترتيب محفوظاتهِ ومدركاتهِ فاطّرح منها ما حقّهُ ان يطرح وأبقى منها ما هو جدير بالبقاء — لو عاش حتى فعل كل ذلك لكان شعرهُ لا يتعلق بهِ متعلق ولبَذّ عَلَى الارجح الشعراء قاطبةً حتى أبا الطيّب المتنبيء »

ولأبي تمام فضل عَلَى الشعر العربي لجمعهِ كثيراً من اشعار العرب القدماء في كتابهِ المعروف بالحماسة . اما قصائدهُ المعدودة فكثيرة . ولهُ كثير من الابيات الحِكمية والامثال ومن غرر قصائدهِ مرثاتهُ في محمد بن حميد الطوسي قال : (من الطويل)

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ
فليسَ لعينٍ لم يَفِض ماؤُها عذرُ[2]

(١) مجلة الكلية مج ٥ (٢) فليجل فليعظم . الخطب المصيبة . يفدح يثقل

تُوفّيت الآمالُ بعد محمّدٍ
واصبح في شغلٍ عن السفرِ السفرُ[١]

وما كانَ الاّ مالَ من قلّ مالهُ   وذخراً لمن امسى وليس لهُ ذخرُ

وما كانَ يدري مجتدي جودِ كفهِ
اذا ما استهلّت أنهُ خُلِقَ العُسرُ[٢]

فتىً كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ   دماً ضحكت عنهُ الاحاديثُ والذكرُ

فتىً ماتَ بين الطعنِ والضربِ ميتةً
تقوم مقامَ النصرِ إن فاتهُ النصرُ

وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفهِ
من الضربِ واعتلّت عليهِ القنا السمرُ[٣]

وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ
اليهِ الحفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوعرُ[٤]

ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما
هو الكفرُ يوم الروع او دونهُ الكفرُ[٥]

---

(١) السفر المسافرون   (٢) المجتدي طالب العطاء
(٣) القنا الرماح   (٤) الحفاظ الدفاع عن المحارم — الوعر الصعب الشديد   (٥) تعاف تكره — الروع الخوف او الحرب

فأثبتَ في مستنقعِ الموت رجلهُ
وقال لها من تحت اخمُصكِ الحشرُ (١)

غدا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ
فلم ينصرف الاَّ واكفانهُ الأجرُ

كأنَّ بني نبهانَ يومَ وفاتهِ نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

يعزّونَ عن ثاوٍ تُعزّى بهِ العُلى
ويبكي عليهِ البأسُ والجودُ والشعرُ (٢)

وأنّى لهم صبرٌ عليهِ وقد مضى
الى الموت حتى استشهدا هو والصبرُ

فتىً كانَ عذبَ الروح لامن غضاضةٍ
ولكنَّ كِبراً ان يُقالَ بهِ كبرُ (٣)

أمِن بعد طيِّ الحادثاتِ محمَّداً يكونُ لأثوابِ الندى ابداً نشرُ

سقى الغيث غيثاً للغيوثِ صنيعةً باسقائها قبراً وفي لحدهِ البحرُ (٤)

مضى طاهرَ الاثوابِ لم تبقَ روضةٌ
غداة ثوى الاّ اشتهت انها قبرُ

---

(١) الاخمص باطن القدم الذي لا يصيب الارض — الحشر القيامة (٢) ثاوٍ ماكث في القبر (٣) الغضاضة المذلة — الكبر الكبرياء (٤) الغيث المطر — الصنيعة الاحسان

ثوى في الثرى من كانَ يحيا بهِ الثرى
ويغمرُ صرفَ الدهر نائلهُ الغمرُ[١]

عليكَ سلامُ اللهِ وقفاً فانني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ لهُ عمرُ

البحتري: ٨٢٢ م — ٨٩٨ م ولُد هذا الشاعر بمنبج وفيها نشأَ ثمَّ خرج الى العراق وأقام ببغداد دهراً طويلا يمدح خلفاءها وأُمراءها وفي اواخر عمرهِ عاد الى الشام فمنبج حيث توفي بداء السكتة[٢]

وهو على رأي الجمهور شاعر فصيح العبارة حسن الاسلوب وقد سُمي شعره بسلاسل الذهب لأَناقتهِ وحسن ديباجته. وكان البحتري على ما ذكروهُ من أقبح الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيتهِ ويهزّ رأسهُ ومنكبيهِ ويقف عند كل بيت ويقول احسنتُ واللهِ. ومهما يكن من امرهِ فهو بلا شك احد شعراء العربية المقدَّمين لا تقلّ منزلته في نظر العلماء عن منزلة ابي تمام والمتنبيء وبعضهم يفضّل اسلوبهُ على اسلوبهما ولا سيما في الاوصاف. قال ابن الاثير انهُ اراد ان يشعر فغنَّى ورقي بديباجة لفظهِ الى الدرجة العليا. وللبحتري كتاب حماسة على مثال حماسة

(١) الثرى الارض. يغمر يستر. صرف الدهر حوادثه. النائل العطاء. الغمر الكثير (٢) دائرة المعارف

ابي تمام جمع فيهِ كثيراً من اشعار العرب · اما ديوانهُ فمشهور ويكفي للدلالة على منزلتهِ ان أبا العلاء المعرّي اهتمّ بشرحهِ كما اهتمّ بشرح المتنبي ومن قصائدهِ المشهورة قصيدته في مدح الخليفة المتوكّل قال منها:

بالبرّ صمتَ وأنتَ أفضل صائمٍ ... وبسنّةِ الله الرضيّة تفطرُ
فانعم بيوم الفِطر عيناً إنهُ ... يومٌ أغرُّ من الزمان مشهَّرُ
أظهرتَ عزَّ المُلكِ فيهِ بجحفلٍ ... لجِبٍ يُحاطُ الدّين فيهِ وينصرُ(١)
خلنا الجبال تسير فيهِ وقد غدت ... عدداً يسيرُ بها العديد الاكثرُ
فالخيل تصهل والفوارس تدّعي ... والبيضُ تلمعُ والأسنّةُ تزهرُ
والأرض خاشعةٌ تميدُ بثقلها ... والجوّ معتكرُ الجوانبِ أغبرُ
والشمس طالعة توقّد في الضحى ... طوراً ويُطفئها العجاج الاكدرُ
حتى طلعتَ بضوء وجهك فانجلى
ذاكَ الدجى وانجابَ ذاكَ العثيَرُ(٢)
فافتنّ فيك الناظرون فإصبعٌ ... يوماً اليك بها وعينٌ تنظرُ
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعمِ الله التي لا تكفرُ
ذكروا بطلعتك النبيّ فهلّلوا ... لمّا طلعتَ من الصفوف وكبّروا
حتى انتهيتَ الى المصلّى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهرُ

---

(١) الجحفل اللجب اي الجيش الكثيف (٢) العثير غبار الحرب

ومشيتَ مِشيةَ خاشعٍ متواضعٍ ‌ ‌ للّهِ لا يُزهى ولا يتكبرُ
فلوَ انَّ مشتاقاً تكلّفَ فوقَ ما ‌ ‌ في وُسعهِ لمشى اليكَ المنبرُ
أبديتَ من فصلِ الخطابِ بحكمةٍ ‌ ‌ تُنبي عن الحقِّ المبينِ وتُخبرُ
ووقفتَ في بُرُدِ النبيِّ مذكِّراً ‌ ‌ باللّهِ تنذرُ تارةً وتبشرُ

المتنبي: ٩١٦ م — ٩٦٦ م لم يكد ينتهي القرن التاسع للميلاد حتى كانت الخلافة العباسية قد بدأت بالانحلال فأخذ كبار الامراء يستقلون باماراتهم · من هؤلاء الملوك المستقلين بنو حمدان امراء حلب واشهرهم سيف الدولة الذي خلّد المتنبيُّ اسمهُ باشعارهِ

نشأ المتنبي في الكوفة ثم قدم الشام حيث درس فنون الادب ومهر فيها وقد لُقّب بالمتنبي لانهُ كان في اول امرهِ قد ادّعى النبوءة ولكن صاحب حمص خرج اليهِ فأسرهُ وحبسهُ ثمَّ أطلقهُ · فصار المتنبي يتردد في اقطار الشام حتى اتصل بالأمير سيف الدولة · وكان هذا الامير غيوراً على الأدب محباً للشعر فاكرم المتنبيَ وقرَّبهُ على ان الايام لم تبقَ على صفائها مع شاعرنا فتغيّر عليهِ اميرهُ وكان ذلك سبباً في رحيلهِ الى مصر حيث مدح ملكها كافور الاخشيدي ولما لم ينل منهُ ما كان يطمع اليهِ من الولاية هجاهُ وقفل راجعاً الى العراق · وفيما هو على الطريق

عرض لهُ فاتك الاسدي بجماعة من اصحابهِ ومع المتنبيء جماعة من اصحابه فاقتتلا وقُتل المتنبيء

اما شعرهُ فاشهر من ان يوصف وديوانهُ مع ما فيهِ من المآخذ عليهِ ابلغ الدواوين وانخمها. وقد عُرف شعره كما عرف شعر ابي تمام بالمتانة وقوَّة التخيُّل حتى قلَّما يستطيع احد غير الأديب ان يرى مراميه البعيدة او يفطن للروابط الخفيَّة التي تربط اياتهُ بعضها ببعض. وكأنما تشعر بكبر نفسهِ في كل قصيدة من قصائدهِ فتهتزّ لِما يتجلَّى فيها من عواطف الرجولية المقرونة بالحِكم العالية ومما يدلّك عَلى تأثيرهِ في نفوس الادباء اهتمامهم الكبير بديوانهِ حتى شرحهُ نحو اربعين عالماً منهم ابو العلاء المعرّي الذي سمى شرحهُ لهُ مُعجز احمد. وللمتنبيء اكثر من مئتي بيتٍ جارية عَلى السنة العامة والخاصة مجرى الامثال. واليك مثالاً من شعرهِ الذي يشفّ عن طبعهِ . قال يمدح كافوراً امير مصر

فراقٌ ومَن فارقتُ غيرُ مذمَّمِ وأمٌّ ومن يممتُ خيرُ مُيممِ (١)
وما منزلُ اللذَّاتِ عندي بمنزلٍ اذا لم أُبجَّلْ عندهُ وأُكرَّمِ

---

(١) يقصد بالفراق هنا فراقه لسيف الدولة — أمّ اي قصد ويريد بالميمم كافوراً

سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مُليحةً ... منَ الضيمِ مرمياً بها كلُّ مخرِمِ (١)

رحلتُ فكم باكٍ باجفانِ شادنٍ ... عليَّ وكم باكٍ باجفانِ ضيغمِ (٢)

فلو كانَ ما بي من حبيبٍ مقنَّعٍ ... عذرتُ ولكن من حبيبٍ معممِ (٣)

رمى واتقى رميي ومن دونِ ما اتَّقى ... هوىً كاسرٌ كفّي وقوسي وأسهمي (٤)

اذا ساءَ فعلُ المرء ساءت ظنونهُ ... وصدَّقَ ما يعتادهُ من توهمِ

وعادى محبيهِ بقولِ عداتهِ ... وأصبحَ في ليلٍ من الشكِّ مُظلمِ

أُصادقُ نفسَ المرء من قبلِ جسمهِ ... وأعرفها في فعلهِ والتكلمِ

وأحلُمُ عن خلّي وأعلمُ أنهُ ... متى أجزهِ حلماً على الجهلِ يندمِ

وان بذلَ الانسانُ لي جودَ عابسٍ ... جزيتُ بجودِ التاركِ المتبسمِ

وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ... ولا كلُّ فعّالٍ لهُ بمتممِ

فدًى لأبي المسكِ الكرامُ فإنها ... سوابقُ خيلٍ يهتدينَ بأدهمِ (٥)

---

(١) مليحة خائفة — المخرم الطريق في الجبل . اي تلك طبيعة نفسي تخاف الذل فأقذف بها في كل مكان هرباً منه (٢) الشادن ولد الغزال — الضيغم الاسد . والمراد ان الحسان والابطال بكوا على فراقهِ (٣) اي لو كان ما اشكو من الغدر بي من امرأة لعذرتها ولكنهُ من رجل فلا اعذرهُ ويشير بذلك الى سيف الدولة (٤) يريد ان سيف الدولة عاملهُ بالاساءة ولكن حبه لهُ منعهُ من مكافأته على الاساءة بالهجو (٥) ابو المسك اي كافور

اذامنعتْ منكَ السياسةُ نفسها فقفْ وقفــةً قدّامهُ تتعلمِ
ومَن مثلُ كافورٍ اذا الخيلُ أحجمتْ
وكانَ قليــلاً من يقولُ لها أقدِمي
أبا المسكِ ارجو منكَ نصراً علَى العدى
وآملُ عزّاً يخضبَ البيضَ بالدمِ (١)
ويوماً يَغيظُ الحاسدينَ وحالةً أُقيمُ الشقا فيهـا مقامَ التنعُّمِ
ولم ارجُ إلاَّ اهـلَ ذاكَ ومن يرِدْ
مَواطرَ من غيرِ السحائبِ يظلمِ (٢)
فلو لم تكن في مصرَ ماسرتُ نحوَها بقلبِ المَشُوقِ المستهامِ المتيَّمِ
قـدِ اُخترتُكَ الاملاكَ فاُخترْ لهم بنا
حديثاً وقد حكَّمتُ رأيكَ فاُحكُمِ (٣)
فأحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنٍ
وأيمنُ كفٍّ فيهم كفُّ مُنعِمِ (٤)
وأشرفهم من كانَ أشرفَ همةً واكثرَ إقداماً علَى كلِّ مُعظَمِ
لمن تطلبُ الدنيا اذا لم ترِد بها سرورَ محبٍّ او مساءةَ مجرِمِ

---

(١) البيض اي السيوف (٢) اي انت اهل لرجائي وما انا في رجائي كمن يرجو المطر من غير السحاب (٣) اي قد اخترتك من بين الملوك فأحسن مكافأتي امدحك فتتحدث بك الملوك في مجالسهم (٤) أيمن اي اكثر بركة

العصر العباسي الثاني

الخلفاء العباسيون الذين تولّوا الخلافة في بغداد سبعة وثلاثون خليفة وقد ذكرنا اشهرهم فلا لزوم لذكر الآخرين لِما انهم لم يكونوا في الغالب الاّ آلات تتلاعب بها اجنادهم من الترك والديلم

اما انحلال الدولة العباسية فقد بدأ كما ذكرنا من اوّل القرن العاشر واسبابهُ ازدياد نفوذ الاعاجم في الحكومة وانصراف ولاة الامور الى اللهو وانشغالهم بسرّاتهم الخاصة عن الاهتمام بامور الدولة· وما زال الاعاجم ولا سيما الجند الذي كان شكّلهُ المعتصم سياجاً للدولة يتعاظم امرهم والخلفاء يزدادون تراخياً حتى استقلّ اكثر الولايات وأصبح امراؤها ملوكاً لا يعترفون لخليفة بغداد الاّ بالسيادة الدينية· ومن هؤلاء الملوك سيف الدولة امير حلب وكافور امير مصر وبنو بُوَيه وبنو سامان في العراق وخراسان وغيرهم· واكثرهم كانوا غيورين عَلَى الادب يجزلون العطايا للادباء وقد نشأ في بَلاطهم كثير من مشاهير الشعراء ناهيك بالعلماء من فلاسفة ومؤرخين مما يضيق المقام عن ذكرهم

الخلافة الفاطمية

من سنة ٩٠٩ م الى ١١٧١ م

وفي اثناء انحلال الخلافة العباسية ظهرت في افريقيا الخلافة الفاطمية واصحابها ينتسبون الى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي وزوج الامام علي بن ابي طالب

اما مؤسس هذه الخلافة فرجل اسمهُ ابو محمد عُبَيد الله ادَّعى انهُ سيّد من نسل فاطمة. وكان في الشام في ايام الخليفة المكتفي ينادي في الناس ان الحق في الخلافة لنسل علي من فاطمة فلما طلبهُ الخليفة هرب الى الحجاز ثم جاء الى مصر فالمغرب وأخذ يبثُّ دعوتهُ هناك فاستمال اليهِ اهل المغرب حتى بايعوهُ اميراً عليهم فلقَّب نفسهُ بالمَهديّ وعظم امره جداً

وعدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر اشهرهم المُعزّ لدين الله وهو الخليفة الرابع ملك سنة ٩٥٥ م وكان من اعظم الملوك. غزا الاسبان وافتتح صقلية (سيسيليا) ثم بعث قائدهُ جوهراً الى مصر فافتتحها واختطَّ لهُ مدينة القاهرة فانتقل الخليفة اليها واصبحت عاصمة الخلافة الفاطمية

وما زالت الخلافة في الفاطميين حتى تولَّاها آخرهم العاضد وفي ايامهِ كانت مصر حزبين كبيرين فاستنجد احدهما نور الدين

الكردي امير الشام فارسل قوّة الى مصر واخضعها · ثم غزا الصليبيون مصر وطردوا جيش نور الدين منها ولكن نور الدين عاد فحمل عَلَى مصر وكان معهُ ابن اخيهِ صلاح الدين الايوبي فطرد الصليبيين وامر بخلع الخليفة الفاطمي وبارجاع الخلافة في مصر الى بني العبّاس · ثم تولى مصر صلاح الدين وبهِ تبتدئ الدولة الايوبية · ولهذا الملك ولأَخيهِ الملك العادل وقائع مشهورة مع الصليبيين ولا سيما مع ملك الانكليز ريتشرد الملقَّب بقلب الاسد

شعراء العصر العباسي الثاني

اشهر شعراء هذا العصر خمسة ابو العلاء المعرّي والشريف الرضيّ والطغرائي صاحب لامية العجم وعمر الفارض والبها زُهير ولضيق المقام نجتزئ بترجمة الاوَّل والثالث منهم

ابو العلاء المعرّي

من سنة ٩٧٣ م الى ١٠٥٧ م

ذكرنا ان الشعر العربي بلغ نهاية نضجهِ في القرن العاشر للميلاد ولعلّ ابا العلاء المعرّي آخر حلقة من تلك السلسلة الشعرية العظيمة التي مرّ ذكرها في العصر العباسي الاوَّل

ولد ابو العلاء في المعرّة بجوار حلب ولم يُتمَّ الثالثة من عمرهِ حتى اصابهُ الجدَريُ فكفَّ بصره وهو طفل ولكن حافظتهُ كانت قوية جداً فتعلم اللغة والادب بالسماع وفاق اهل زمانهِ . ومما مكَّن العلم فيهِ انهُ رحل في طلبه فزار كثيراً من مدن الشام وتعلَّم فيها فلسفة اليونان ثم زار بغداد واطَّلع هناك عَلَى فلسفة الهنود والفرس . وبعد ان قضى من طلب العلم والفلسفة وطره رجع الى المعرّة حيث لزم بيتهُ فعاش عيشة الزهد والتقشُّف وصرف همَّهُ الى التأليف والنظم

ولأَبي العلاء منزلة سامية في تاريخ الآداب العربية امـا تأثيرهُ عَلَى النفوس فقوي جداً وهو فيلسوف مفكّر قرن الشعر بالفلسفة فحلَّق في الفضاء ولم يخشَ ان ينتقد تقاليد جيله الدينية والاجتماعية ولذلك نقم عليهِ كثير من اهل التقليد وحسبوهُ كافراً مضلّلاً

ومما يُذكر لأَبي العلاء أَنفته من استجداء الامراء فكان شعرهُ مرآة نفسهِ الكبيرة يشعر قارئهُ بتلك القوّة الغريبة التي لا توجد الاَّ في النوابع . نعم ان اكثر شعرهِ مستقى من منابع اليأس والتشاؤم ولكنَّ في تشاؤمهِ جلالاً يرفع قدرهُ . ولعلّ عماهُ وظروفهُ كانت من الاسباب التي حوّلت نفسه الى الجهة

السوداء من الحياة· واشهر دواوينه «لزوم ما يلزم» وهو مجموعة قصائد انتقادية وفيها تظهر نفسه· ولهُ ديوان سقط الزند وفيهِ كثير من غرر قصائدهِ اما رسائلهُ فاكثرها من السَّجع كمقامات الحريري ولكن مضمونها فلسفة وحكمة· واليك نخبة من مرثاته المشهورة التي بلغت الدرجة العليا من الجمال الشعري

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنُّم شادِ (١)
وشبيهٌ صوت النَعيِّ اذا قيس بصوتِ البشيرِ في كل نادِ (٢)
صاحِ هذي قبورنا تملأُ الرُّحبَ فاينَ القبورُ من عهدِ عادِ
خففِ الوطءَ ما اظنُّ اديم الارض الاَّ من هذهِ الاجسادِ (٣)
سِر إنِ أسطعتَ في الهواءِ رويداً لا اختيالاً عَلَى رُفاتِ العبادِ
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الاضدادِ
ودفينٍ عَلَى بقايا دفين في طويلِ الازمانِ والآبادِ
تعبٌ كلُّها الحياة فما أَعجبُ إلاَّ من راغبٍ في ازديادِ
إنَّ حزناً في ساعة الموتِ اضعافُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خُلِقَ الناسُ للبقاء فضلَّتْ امة يحسبونهم للنفادِ
انما يُنقلونَ من دارِ اعمالٍ الى دارِ شقوةٍ او رشادِ

(١) مجدٍ· نافع (٢) النعيّ الذي ينعى الموتى (٣) الرُفات ما بَلي من العظام او غيرها

ضَجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الجسمُ فيها والعيشُ مثل السُّهادِ
زُحَلٌ اشرف الكواكبِ داراً من لقاء الردى على ميعادِ (١)
ولنار المرّيخ من حدَثانِ الدهرِ مُطفٍ وان علت باتقادِ (١)
والثُّريّا رهينةٌ بافتراقِ الشملِ حتى تُعدَّ في الأَفرادِ
كلُّ بيتٍ للهدمِ ما تبتني الورقاء والسيّدُ الرفيعُ العمادِ (٢)
بانَ امرُ الالهِ واختلفَ الناسُ فداعٍ الى ضلالٍ وهادِ
والذي حارتِ البريّةُ فيهِ حيوانٌ مستحدَثٌ من جمادِ
واللبيبُ اللبيبُ من ليسَ يغترُّ بكونٍ مصيرُهُ للفسادِ

ومن لزومياتهِ قولهُ وهو من انتقاداتهِ المتطرّفة —

اذا كان علمُ الناس ليس بدافعٍ ولا نافعٍ فالخُسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائنٌ فتمَّ وضاعتْ حكمةُ الحكماء
وهل يأبقُ الانسان من مُلك ربّهِ فيخرجَ من ارضٍ لهُ وسماء (٣)
وقد بانَ أنَّ النحس ليس بغافلٍ لهُ عملٌ في أَنجُم الفهماء
أَفيقوا أَفيقوا يا غواةُ فانّما دياناتكم مكرٌ من القدماء
ارادوا بها جمع الحُطام فأدركوا وبادوا وماتت سنّة اللؤماء

(١) زحل والمرّيخ كوكبان · الثريا مجموع كواكب · حدَثان الدهر حوادثهُ وصروفهُ (٢) الورقاء الحمامة (٣) يأبق يفرّ

يقولون إنّ الدهر قد حان موتهُ ولم يبق في الايام غير ذَماء[1]
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءهُ فلا تسمعوا من كاذب الزعماء

الفارض

من سنة ١١٨١ م الى ١٢٣٥ م

لشهرة الفارض في الشعر العربي مصدران رئيسيّان. الاول انهُ اعظم شاعر متصوّف نشأ بين العرب الثاني انّ طريقته في استعمال انواع البديع والتلاعب بالالفاظ فريدة لا يدانيهِ فيها احد. اما ديوانهُ فصغير الحجم لكن شعرهُ رقيق جداً يشعر القارئ عند قراءتهُ بلطف ناظمهِ و بطيران روحه في عالم الروح الى ابعد غاية

نبغ الفارض بمصر وفيها توفي و كان قد رحل الى مكة فاقام فيها مدّة يهيم في اوديتها وجبالها فساعدهُ ذلك على نظم شعرهِ الالهي. واشهر قصائدهِ القصيدة المعروفة بالتائية الكبرى وهي طويلة تُربي علَى ٧٥٠ بيتاً. علَى ان اكثر قصائدهِ مشهور يتغنى بهِ الخاصّ والعامّ. وللشيخ الفارض منزلة كبرى بين الصوفيّة والزهّاد. من امثلة شعرهِ قولهُ

(١) ذَماء بقية الروح في الميت والمذبوح

قلبي يحدّثني بأنّكَ متلفي   روحي فداكَ عرفتَ امْ لم تعرفِ
لم أقضِ حقّ هواكَ إنْ كنتُ الذي
لم أقضِ فيهِ أسىً ومثلي مَن يفي (١)
ما لي سوى روحي وباذلُ نفسهِ   في حبِّ من يهواهُ ليسَ بمسرفِ
يا مانعي طيبَ المنامِ ومانحي   ثوبَ السقّامِ بهِ ووجدي المتلفِ
عطفاً على رمقي وما أبقيتَ لي
من جسمي المضنى وقلبي المُدنفِ (٢)
واسألْ نجومَ الليلِ هل زارَ الكرى
جفني وكيفَ يزورُ من لم يعرفِ
إنْ لم يكن وصلٌ لديكَ فعدْ بهِ   أملي وماطلْ ان وعدتَ ولا تفي
أهفو لأنفاسِ النسيمِ تعلّةً   ولوجهِ مَن نقلتْ شذاهُ تشوّفي (٣)
فلعلّ نارَ جوانحي بهبوبها   أن تنطفي وأودّ أن لا تنطفي
يا اهلَ ودّي أنتمُ أملي ومَن   ناداكمُ يا اهلَ ودّي قد كُفي
عُودوا لِما كنتم عليهِ من الوفا   كرماً فإنّي ذلكَ الخلُّ الوفي
وحياتِكمْ وحياتِكمْ قسماً وفي   عُمري بغيرِ حياتِكم لم أحلفِ

---

(١) اقضي الثانية اي اموت   (٢) المدنف الشديد المرض
(٣) التشوّف حب الاستطلاع وهو مبتدا خبرهُ لوجه — الشذا الرائحة الذكية

لو أنَّ روحي في يدي ووهبتها   لمُبشّرِي بقدُومكم لم أُنصِفِ
لا تحسبوني في الهوى متصنعاً   كَلَفي بكم خُلْقٌ بغير تكلُّفِ (١)
أخفيتُ حبكمُ فأخفاني أسىً   حتى لعمري كدتُ عني أختفي
وكتمتهُ عني فلو أبديتُهُ   لوجدْتهُ أخفى من اللُّطفِ الخفي
قلْ للعذولِ أطلتَ لومي طامعاً   أنَّ الملامَ عن الهوى مستوقفي
دع عنكَ تعنيفي وذُقْ طَعْمَ الهوى
فاذا عشقتَ فبعدَ ذلكَ عنِّفِ
برحَ الخفاءُ بحبِّ مَن لو في الدُّجى
سفرَ اللثامَ لقلتُ يا بدرُ اختفِ (٢)
لو قال تيهاً قفْ على جمرِ الغضا   لوقفتُ ممتثلاً ولم أتوقَّفِ
كَمُلتْ محاسنهُ فلو أهدى السنا   للبدرِ عندَ تمامهِ لم يُخسَفِ
وعلى تفنُّنِ واصفيهِ بحُسنهِ   يَفنى الزمانُ وفيهِ ما لم يوصَفِ

---

(١) الكلف فرط المحبة — التكلُّف التصنع   (٢) سفر اللثام اي كشف البرقع

الكتابة والانشاء

في العصر العباسي

كان الانشاء في الجاهلية وصدر الاسلام محصوراً في الخطابة وبعض المراسلات . فلما جاء العصر الاموي وكان العرب قد فتحوا كثيراً من الفتوح نشأ في الدولة فن الرسائل لاحتياج الخلفاء والامراء اليهِ وكانت الرسائل غالباً عَلَى النسق الجاهلي مختصرة مفيدة اما في العصر العباسي فان نموّ الحضارة والسلطان أثَّر في الانشاء تأثيراً ظاهراً فزاده تأنقاً وبنقل العلوم اليونانية وغيرها الى اللغة العربية اتَّسعت لغة الكتابة ودخل فيها كثير من الالفاظ الجديدة عَلَى انَّ الكتبة في صدر الدولة العباسية لم ينحرفوا كثيراً عن سبيل القدماء في الايجاز ولذلك لم يكثر فيهم السجَّاعون كما كثروا في اواسط تلك الدولة وأواخرها وكان عبدالله بن المقفَّع إمام الكتابة في صدر هذا العصر فهو صاحب الانشاء المرسل واسلوبهُ فيهِ كما يظهر في كتاب كليلة ودمنة اسلوب سهل متين ولا نبالغ اذا قلنا انهُ يُعدّ الآن مثال الكتابة البليغة . ومما يذكر انّ ابن المقفَّع فارسيّ الاصل نشأ في البصرة في ايام المنصور العباسي فبرع باللغة العربية وآدابها وكان عريقاً

بالفارسية واليونانية عارفاً بآدابهما فسهل عليهِ ذلك نقل ما نقله الى العربية بلغةٍ لم يأتِ احد بأجود منها وما من احد يقرأ كتاباته الاَّ ويشعر فيها بإيقاع جميل يؤثر في نفسه ويخلب لبهُ

ومن طبقتهِ في الانشاء الجاحظ ولهُ في الكتابة طريقة اشتهر بها حتى سموها الجاحظية وهي انهُ جعل الجملة قطعاً صغيرة علَى نسق السجع ولكن بدون قافية

وقد نشأ في العصر العباسي جماعة ممن توسعوا جداً في الأدب فألَّفوا فيهِ المجلدات الضخمة من انتقادية وتاريخية وفلسفية وغيرها وذلك أثَّر في لغة الكتب وجعلها اسهل وأوضح من لغة الرسائل والمقامات التي لم تكن في الحقيقة الاَّ خزانة الفاظ يقضي واضعها عمرهُ في تنميقها وترتيبها فتجيء في الغالب باردة قليلة الروح. ومن الغريب ان جملة كبيرة من الادباء شغفوا بهذا النوع من الانشاء ولا سيما في اواخر العصر العباسي فكثر استعمالهُ بينهم حتى خرجوا باللغة عن اسلوبها الاوَّل البليغ الى هذا الاسلوب الثقيل والاغرب ان بعضاً من اهل هذا العصر يجارونهم في ذلك حاسبين الفصاحة قائمة على غريب الالفاظ ومسجوعها وهم لو تأملوا لوجدوا نوابغ الكتبة في كل عصر بعيدين عن التكلف عبارتهم سهلة مع متانة في التركيب

من سقوط بغداد

الى القرن التاسع عشر

احوال العالم الاسلامي عموماً

في سنة ١٢٥٨ م سقطت بغداد بيد هولاكو التتري فسقط معها آخر أثر لسيادة العرب في المشرق. وكان قد استولى عَلَى العراق ومصر والشام والمغرب منذ القرن العاشر والحادي عشر دول غريبة من عجم وتتر وبربر فأخذت الآداب العربية تسقط وضُرب عَلَى العناصر العربية المسكنة والخضوع فلم يبقَ لهم من السيادة الاَّ ما كان لآل نصر في غرناطة الذين بقوا الى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد فضلاً عما كان للعرب من السيادة في جزيرة العرب نفسها

اما الدول الاعجمية التي ورثت مجد العرب فأشهرها «الدولة السلجوقية» وهي دولة تترية جاءت من تركستان واكتسحت الاقاليم الشرقية ثم استولت عَلَى بغداد في السنة ١٠٥٧ م وفي إبّان مجدهم اي في اواسط القرن الثاني عشر امتدّ سلطانهم من الهند الى البوسفور. اما مدّة حكمهم فكانت نحو ١٥٦ سنة وفي

ايامهم ابتدأت الحروب الصليبية — ثم « الدولة الأيوبية » في مصر وهي دولة كردية بقيت نحواً من تسعين سنة وقد اشتهر منها السلطان صلاح الدين والملك العادل · وعقبها « دولة المماليك » وهي دولة جركسية استولت عَلَى مصر والشام وبقيت الى اواخر القرن السادس عشر اي الى استيلاء العثمانيين عَلَى بلادهم

ولما كان هذا الكتاب مخصّصاً بالدول العربية وآدابها فسيكون كلامنا عَلَى العربية بعد العباسيين من قبيل التلميح فقط حتى تبقى روابط التاريخ جليّة في عقل الطالب

الآداب العربية

من سقوط بغداد الى القرن التاسع عشر

الشعر والآداب : لما ضعفت نفوس العرب بذهاب السيادة منهم وبتحكّم العناصر الغريبة فيهم اخذت الروح الادبية تخمد رويداً رويداً وذلك طبيعي لان الآداب في غالب الاحيان تتبع حالة الأُمة السياسية والاجتماعية ومع ظهور عدد غفير من الشعراء والادباء بعد انحلال العرب وذهاب مجدهم فان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ مَن تقدَّمهم من النوابغ الذين كانوا ينطقون بلسان الطبيعة ويعبّرون عن مجد الأُمة · بل لم يكونوا

في الغالب إلاّ مقلِّدين انصرفوا الى التلاعب بالالفاظ والاكثار من انواع البديع بدل الجري في سَنَن الطبيعة والاستقاء من مواردها الصافية

العلم والتاريخ: ذلك مجمل ما يُقال عن الآداب اما في العلوم ولا سيما ما كان منها يقتضي الجمع والتدوين فقد نبغ نخبة من كبار الرجال كابن خلدون وابن خَلِّكان والمقريزي وأبي الفداء والسيوطي وابن مالك والتفتازاني وحاجي خليفة وابن عقيل والفيروزبادي صاحب القاموس وابي الفرج الملطي وغيرهم من فحول الكتبة والمؤلّفين. اما الشعراء فاشهرهم

صفيُّ الدين الحلّي

من سنة ١٢٧٨ م الى ١٣٥٠ م

وُلد هذا الشاعر في الحِلَّة عَلَى الفرات واتصل بآل ارتق أُمراء ماردين ثم انتقل الى بغداد وتوُفي فيها. وكان شاعر عصرهِ عَلَى الاطلاق يتأنَّق في نظمهِ جداً وقد عُرِف برشاقة الاسلوب والبعد عن التكلُّف. اما ديوانهُ فكبير متنوّع المواضيع وقد التزم فيهِ كثير من انواع البديع ولم يكن يستجدي بشعرهِ قال «كنت عاهدت نفسي ان لا أمدح كريماً ولا أهجو لئيماً وذلك للتنزه عن التشبه بذوي السؤال» واكثر مديحه في النبي

وآله ولهُ مدائح مشهورة في الملك المنصور امير ماردين والناصر ملك مصر. والحق ان شعره يدلّ على طبع سليم وشاعريةً قوية

ومن جميل شعرهِ تخميسه لقصيدة السموأل قال في مطلعها:

قبيحٌ بمن ضاقت عن الرزق ارضهُ   وطول الفلا رحبٌ لديهِ وعرضهُ
ولم يبلِ سربالَ الدجى فيهِ ركضهُ   اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها   ويغلي من النفس النفيسة سومها
أُضيعَ ولم تأمن معاليه لومها   وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وعصبةِ غدرٍ ارغمتها جدودنا   فباتت ومنها ضدُّنا وحسودنا
اذا عجزت عن فعل كيدٍ يكيدنا   تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدنا
فقلتُ لها انّ الكرام قليلُ

رفعنا على هام السماكِ محلّنا   فلا ملكٌ الاّ تفيّأ ظلّنا
فقد خاف جيش الاكثرين أقلّنا   وما قلّ من كانت بقاياهُ مثلنا
شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ

يوازي الجبالَ الراسياتِ وقارُنا   وتُبنى على هام المجرّة دارنا
ويأمَنُ من صرف الزمان جوارنا   وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارنا
عزيزٌ وجارُ الاكثرينَ ذليلُ

ومن حكمهِ قولهُ من قصيدة مشهورة :

لا يمتطي المجدَ لم يركب الخطرا ولا ينالُ العلى من قدَّم الحذرا
ومن اراد العلى عفواً بلا تعبٍ قضى ولم يقضِ من ادراكها وطَرا
لا يُبلَغ السؤْلُ الاَّ بعد مؤْلمة ولا تتمُّ المُنى الاَّ لمَن صبَرا
وأحزمُ الناس من لو مات من ظمإٍ لا يقربُ الوِردَ حتى يعرف الصَّدَرا [١]
واغزر الناس عقلاً من اذا نظرت عيناهُ أمراً غدا بالغيرِ معتبِرا
ولا ينال العلى إلاَّ فتىً شرفت اخلاقهُ فأطاع الدهرُ ما أَمرا

النهضة الحديثة

انَّ الروح العلمية التي أيقظت اوربا من سبات القرون المظلمة فكانت اساس مدنيَّتهم الحاضرة لم تؤَثر عَلَى حياة العرب الادبية قبل القرن التاسع عشر . فبعد ان كان العرب في ايام العباسيين اساتذة اوربا وحاملي نور العلوم القديمة اليها امسوا بعدها في ظلام دامس لم يخرجوا منهُ حتى اضاء عليهم نور التمدن الحديث فحرَّك هممهم وأثار عزائمهم فاندفعوا الى مناهل العلم يروون منها نفوسهم

بدأت هذهِ النهضة بارتقاء محمد علي باشا عرش مصر فان

(١) الورد ورود الماء والصدَر الرجوع عنهُ

ذلك الامير الكبير فتح لأهل الشرق سبل المعارف ثم اخذ اهل الغرب بتأسيس المنشآت العلمية في سوريا ومصر فتنبهت الافكار وكثر الاقبال عَلَى الادب ونشأ عَلَى أثر ذلك عدد كبير من أمراء الاقلام وأبطال العلم ممن فاقوا اهل العصور الغابرة . وما أشبهَ هذهِ النهضة بالنهضة الادبية في صدر العصر العباسي يوم احتكّ العرب بالعلوم اليونانية والفارسية وغيرها فنبغ منهم قادة الافكار في القرون الوسطى عَلَى انَّ العرب يومئذٍ كانوا اصحاب ملك وسيادة فساعدهم ذلك عَلَى نشر لغتهم وعلومهم وأما الآن فانَّ نهضتهم ادبية محضة لا نعلم كم تدوم وهم على ما هم عليهِ من الضعف والمسكنة فإمَّا ان تموت لغتهم وآدابهم امام تأثير اللغات الاجنبية وذلك ما ستفضي اليهِ احوالهم الاجتماعية الحاضرة وإما ان يتحدوا على تعزيز لغتهم وترقيتها فتتعزَّز جنسيتهم ويكون لهم على تأخرهم الاجتماعي بعض من الكرامة القومية

تنبيه هامّ

ورد في صفحة ٩٤ ان عاصمة الراشدين كانت مكة والصواب المدينة وورد في صفحة ١٠٩ عن خلافة معاوية انها ابتدأت من سنة ٦٣٢ والصواب ٦٦٢ . اما الاغلاط المطبعية فقليلة جداً لا تخفى على القارئ اللبيب

فهرس

العرب والعربية	٦
جغرافية بلاد العرب	١١
العرب قبل التاريخ	١٣
سبأ وحِمير	١٦
دولة الانباط	٢٢
مملكة تدمر	٢٦
دولة اللخميين في الحيرة	٣٠
دولة الغساسنة في الشام	٣٨
ملوك كندة وملوك متفرقون	٤١ و٤٢
عرب الجاهلية عموماً	٤٣
اداب الجاهلية	٤٧
المعلقات — امروء القيس	٥١ و٥٢
طرفة بن العبد	٥٧
عمرو بن كلثوم	٦١
الحارث بن حلزة	٦٥
عنترة بن شداد	٦٨
زهير بن ابي سلمى	٧١
لبيد بن ربيعة	٧٦
النابغة	٨٠
الاعشى	٨٣
الخطابة في الجاهلية	٨٧
نبي الاسلام	٩٠

الخلفاء الراشدون . . . ٩٤—١٠٠

الآداب العربية ايام الراشدين . . . ١٠٢

الخلافة الاموية في الشام . . . ١٠٧—١١٢

جدول الخلفاء الامويين . . . ١١٣

آداب العصر الاموي . . . ١١٤—١٢٢

النثر والانشاء . . . ١٢٣

الخلافة الاموية في الاندلس . . . ١٢٨—١٣٥

الاداب العربية في الاندلس . . . ١٣٦--١٣٧

ابن هاني—ابن سهل—ابن زيدون
ابن خفاجه — ابن بقيّ . . . ١٣٧—١٤٤

الخلافة العباسية (العصر الاوّل) . . . ١٤٥—١٥٠

آداب العصر العباسي الاول . . . ١٥١

شعراؤُهُ : ابوالعتاهية—ابو نواس
ابو تمام — البحتري— المتنبي . . . ١٥٢—١٦٥

العصر العباسي الثاني . . . ١٦٦

الخلافة الفاطمية . . . ١٦٧

شعراء العصر العباسي الثاني —
المعرّي — الفارض . . . ١٦٨—١٧٤

الكتابة في العصر العباسي الثاني . . . ١٧٥

من سقوط بغداد الى القرن
التاسع عشر . . . ١٧٨

الآداب العربية بعد سقوط بغداد . . . ١٧٩

صفيّ الدين الحلي . . . ١٨٠

النهضة الحديثة . . . ١٨٢